رحلة العائلة المقدسة لمصر والمصادر الشفهية

إعداد

أ.د/ راندا عمر كاظم بليغ

أستاذ الآثار المصرية

كلية الآداب، جامعة المنصورة

مجلة كلية السياحة والفنادق ملحق العدد الثالث يونيو ٢٠١٨
الخاص بملتقى شباب الباحثين الدولي الأول
(التراث الحضاري و مستقبل السياحة في مصر)

رحلة العائلة المقدسة لمصر والمصادر الشفهية

إعداد

أ.د/راندا عمر كاظم بليغ

مقدمة:

تعد رحلة العائلة المقدسة لمصر من الأشياء التي تجتذب السياحة الدينية لأهمية هذا الحدث. وفي الرابع من أكتوبر ٢٠١٧، أعلن الفاتيكان ضم مصر لرحلة العائلة المقدسة للحج الفاتيكاني لعام ٢٠١٨ م، واعتماد أيقونة رحلة العائلة المقدسة، وهي أيقونة اختارها الفاتيكان لتكون شعارا يوضع على الأماكن التي سيعتمدها الفاتيكان للزيارة والحج. وتحتفل مصر بحضور العائلة المقدسة لمصر في أول يونيو من كل عام ميلادي وهو يوافق ٢٤ بشنس بالنتيجة القبطية أي نتيجة الشهداء. وقام وفد من الفاتيكان بزيارة مصر للقاء ممثلي الوزارات مختلفة كوزارة الداخلية والآثار والسياحة والخارجية وغيرهم، للإتفاق على تفاصيل خاصة بزيارة العائلة المقدسة. وللأسف جاء قرار من وزارة الداخلية بصعوبة التصريح برحلات لمنطقة مصر الوسطى بالمنيا وأسيوط في الوقت الحالي على الرغم من أهمية مواقع مصر الوسطى لرحلة العائلة المقدسة، وقد يتغير الوضع فيما بعد. واحتمال أن يكون التركيز الأكبر على المواقع الموجودة بالقاهرة الكبرى مثل مصر القديمة والمعادي والمطرية. وأقر الفاتيكان حوالي خمس مواقع من أصل ثمانية مواقع شبه مؤكدة. أما المواقع الغير مؤكدة فيتراوح عددها بين ٢٥ و ٣٠ موقع. ولا تزال المفاوضات الخاصة بتفاصيل تنظيم الرحلات قائمة. وتبعا لمحاضرة ألقاها د. محمد عبد اللطيف، رئيس قطاع الآثار الإسلامية والقبطية واليهودية بوزارة الآثار ببيت السناري في ٨ مارس ٢٠١٨، صرح أن الأماكن التي ستبدأ بها زيارات الحج الفاتيكانية في مايو ٢٠١٨، هي ١) مغارة كنيسة أبو سرجة بمصر القديمة، ٢) كنيسة العذراء بالمعادي على النيل، ٣) ثلاثة من أديرة وادي النطرون (أقدمهم دير الأنبا مقار ولكنه ليس على برنامج الزيارة لأن الرهبان لا يحبون كثرة الزوار). والباقي سيتم إعداده للزيارة تباعًا. ويقول أ. إسحق الباجوشي عضو لجنة رحلة العائلة المقدسة من المنيا، أن اللجنة أقرت عدة نقاط للزيارة هي: ١) بيلوزيزم أو الفرما، ٢) وادي النطرون، ٣) مغارة كنيسة أبو سرجة، ٤) دير جبل الطير بالمنيا، ٥) الدير المحرق بأسيوط.

ورغم الشهرة العظيمة التي حظيت بها تلك الرحلة فلا توجد في الوقت الحالي آثار مادية تذكر للزيارة، باستثناء بعض المغارات وأثر لقدم المسيح، وأشجار جاثية وعيون ماء وآبار. بالإضافة لهذا بنيت كنائس وأديرة في أغلب الأماكن التي مرت بها العائلة المقدسة في أرض مصر. وغالبا كانت تبنى في مكان به إحدى الآثار المادية المذكورة مثل نبع أو بئر ماء، أو مغارة أو أثر بقدم، أو شجرة أو نخلة ارتبطت بالعائلة المقدسة تبعا لما رواه أهالي المكان. من ضمن إشكاليات تلك الرحلة أن أغلب المصادر المكتوبة أو المدونة التي تناولت تلك الرحلة تعود لفترات متأخرة عن الحدث الأساسي وهو الرحلة.

باركت زيارة العائلة المقدسة لمصر عدة مواقع ومحافظات، منها محافظة شمال سيناء (رفح، الشيخ زويد، العريش) وأغلب محافظات شرق الدلتا مثل بور سعيد (الفرما)، الإسماعيلية (تل المسخوطة)، الشرقية (قنطير، تل بسطة، بلبيس)، القليوبية (مسطرد)،الغربية (سمنود)، الدقهلية (دقادوس، الريدانية، براري بلقاس)، كفر الشيخ (البرلس، سخا، دسوق)، البحيرة (وادي النطرون)، القاهرة (عين شمس، المطرية، الزيتون، الفسطاط وأبو سرجة، المعادي)، الجيزة (منف)، بني سويف (إهناسيا المدينة)، المنيا (إشنين النصارى، البهنسا، مغاغة أو بي إيسوس أو دير الجرنوس، بردونة الأشراف، طحا المدينة، جبل الطير، كوم ماريا، الشيخ عبادة بير السحابة، الأشمونين، تل العمارنة غير مؤكد، دير البرشا، ملوي، الروضة)، أسيوط (ديروط الشريف، القوصية، قصير العمارنة، مير، جبل قسقام، درنكه).

المصادر الرئيسية للرحلة:

وتعتمد المصادر الرئيسية للرحلة، فضلا عن ما جاء في الكتب المقدسة، والأبوكريفا وهي كتابات دينية وأناجيل لا تقرها الكنيسة كجزء من الكتاب المقدس، على السنكسار والدفنار والميامر والمخطوطات، وكتب رئيسية مثل تاريخ البطاركة، وتاريخ الكنائس والأديرة، وكتابات الآباء، بالإضافة إلى تراث شفهي عريض تناقله الناس عن أماكن وأحداث جرت أثناء زيارة العائلة المقدسة لمصر. فالتراث الشفهي في مصر عامة على مر الزمن، أثبت صحته في أحيان كثيرة بحيث أنه فرض نفسه وصار الأثريون يعتمدون عليه كثيرا في كتابة تاريخ العصور سحيقة القدم، خاصة في غياب آثار مادية كافية يمكن أن يعتمد عليها. ويبدو أن طباع الشعب المصري واعتزازه بتاريخ أجداده يجعله يروي ما حكاه الآباء والأجداد حتى يتذكره دائما.

وقد اعتمد مصدر أساسي للرحلة على رؤيا للبابا ثاؤوفيلس (٣٨٥ -٤١٢ م) البطريرك الثالث والعشرون للكنيسة القبطية على كرسي القديس مرقس. وبحسب هذا الميمر، فقد صلى البابا ثاؤوفيلس ليعرف أين يمكن أن يقيم كنيسة للعذراء، فظهرت له العذراء في رؤيا أثناء منامه

وشرحت له خط سير رحلتها مع المسيح إلى مصر. ومن ضمن المصادر الأخرى الرئيسية للرحلة ميمر البابا تيموثاؤس البطريرك القبطي الأورثذكسي السادس والعشرون (٤٥٨ -٤٨٠ م) من القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وميمر الأنبا قرياقوس أسقف البهنسا من القرن السابع، وميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا (حوالي ٦٩٣ -٧٢٣ م)، ثم السنكسار القبطي والأثيوبي، والدفنار القبطي (يوم ٢٤ بشنس دخول العائلة المقدسة لأرض مصر)، والهيستوريا موناخوروم للرهبان السبعة بالقرن الرابع، وكتاب تاريخ الكنيسة لسوزومين Sozomen من القرن الخامس. وهناك كتاب تاريخ بطاركة كنيسة الاسكندرية القبطية لموهوب بن منصور بن مفرج من القرن الحادي عشر، وتاريخ الكنائس والأديرة لأبي المكارم من القرن الثاني عشر الميلادي. وتعد هذه أهم المصادر المدونة، بخلاف التراث الهائل من الكلام الذي يعرفه الناس ويتناقلوه بكل منطقة من المناطق التي مرت بها العائلة المقدسة.

وتبعا لإنجيل متى، فقد بدأت رحلة العائلة المقدسة لمصر بعد أن إنصرف المجوس الذين جاءوا لرؤية المسيح بعد ولادته. ويذكر إنجيل متى أن سبب الرحلة كان الهروب من هيرودس ملك فلسطين الذي أمر بقتل كل المواليد الذكور لوجود نبوءة تتحدث عن المسيح المنتظر الذي سيصير ملكا على بني إسرائيل. وبالنسبة لمصادر الكتاب المقدس، يعتبر أكثر نص مباشر بخصوص الرحلة من إنجيل متى، إذ يقول النص: "قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر." متى ١٣:٢. ثم جاء ملاك الرب ليوسف النجار مرة ثانية في نهاية الرحلة بعد أن مات هيرودس لتتحقق نبوءة "ومن مصر دعوت إبني" بسفر هوشع ١:١١. وقال الملاك ليوسف: "قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض اسرائيل لانه مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل." متى ٢: ٢٠ -٢١.

وهناك بعض عبارات في العهد القديم تم تفسيرها كنبوءات لحضور المسيح لمصر. ففي سفر أشعياء ١:١٩: "وحي من جهة مصر. هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها".

وفي سفر أشعيا ١٩: ١٨ "في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود، يقال لإحداها مدينة الشمس".

ومن سفر إشعياء ٢٥:١٩ "مبارك شعبي مصر".

ومن سفر هوشع ١:١١ "ولما كان إسرائيل غلاما أحببته، ومن مصر دعوت إبني".

ويحتوي "السنكسار القبطي" ويترجم ب "Coptic Tradition"، على سير الشهداء وتفاصيل عن الصوم والأعياد وأشياء أخرى مما تهم الكنيسة القبطية.٢ وهناك كلام تناقله الناس

ببعض المناطق عن انبثاق عيون ماء، وآبار تفيض بمياه مباركة. ويذكر السنكسار تأثر المعابد الوثنية في تل بسطة بالزقازيق وفي القوصية والمطرية والأشمونين بزيارة العائلة المقدسة. وهناك أقوال عن شجرة، وفي قول آخر نخلة، إنحنت للعذراء لتأكل من ثمرها. ورغم غياب المصادر الأثرية المعتادة، إلا أن التراث الشفهي وما تناقله رجال الكنيسة والشعب، يعد هو الأساس الأكبر في رحلة العائلة المقدسة، وكالعادة نجد التراث الشفهي منتشر قبل التدوين، ويستمر بعد التدوين بكثير.

من هم الذين قاموا بالرحلة:

من الغريب أن أغلب الأيقونات القبطية تقوم بتصوير المسيح وأمه العذراء مريم، ويوسف النجار فقط، وكثيرا ما نرى العذراء والمسيح على ظهر حمار بينما يمشي يوسف النجار بجواره أو يسحبه بحبل. ولكن العائلة المقدسة اصطحبت معها سالومة. ومن غير المعروف لماذا جاءت سالومة مع العائلة المقدسة، فتقول بعض التفاسير أنها كانت قريبة مريم. وقد وصفت أحيانا بالعجوز رغم أنها في الغالب لم تكن عجوزا وقت القيام بالرحلة. ويقال أن سالومة كانت أما لاثنين من تلاميذ المسيح الإثني عشر هما يوحنا ابن زبدي ويعقوب ابن زبدي. بل هناك اعتقاد تبعا لما جيء في إنجيل مرقس السري، أن مرقس ربما كان هو نفسه يوحنا ابن سالومة. ويوحنا ابن زبدي يعرف أيضا بيوحنا الإنجيلي ويعتقد أنه كاتب إنجيل يوحنا، فليس من المرجح إذن أن يكون هو أيضا كاتب إنجيل مرقس.

بالإضافة لهؤلاء الأربعة الأصليين (المسيح والعذراء ويوسف النجار وسالومة)، قابلت بعض شخصيات أخرى العائلة المقدسة في مصر كالمصري "قلوم" الذي ساعد العائلة في تل بسطة بالزقازيق بمحافظة الشرقية، و"موسى" أو يوسي قريب يوسف النجار الذي أتى من فلسطين لتحذير العائلة المقدسة من تعقب جنود هيرودس لهم.

أعمار الأشخاص الأربعة بالرحلة:

أما عن أعمارهم عندما قاموا بالرحلة، فكان المسيح مولودا تحمله العذراء، لكنه يصور في الأيقونات القبطية بوجه عاقل حيث أنه تكلم في المهد وفي الغالب عاد من الرحلة وهو بين سن الثالثة والرابعة. وكانت العذراء في حوالي الخامسة عشرة في الغالب آنذاك. وكان يوسف النجار خطيب العذراء قبل أن تلد وقد طمأنه الرب ليتزوج العذراء ويضمها وابنها لكنفه ويحميهما. وهو يصور في أغلب الأيقونات شابا برغم أن المراجع تتحدث عن كون يوسف النجار أكبر كثيرا من العذراء. أما سالومة التي لا تتناولها أغلب الأيقونات القبطية، فكان يطلق عليها اسم العجوز مما يدل على كبر سنها، رغم أن المتخصصين يعتقدون أنها لم تكن عجوزا وقت القيام بالرحلة كما أسلفنا.

العذراء مريم:

تعد العذراء من أهم شخصيات الرحلة تبعا للتراث الشفهي في مصر. فنجد مثلا أن أغلب الكنائس والأديرة التي أقيمت في مسار الزيارة قد سميت باسمها، بالإضافة لإطلاق اسمها على أكثر الآبار وعيون الماء التي ارتبطت بالرحلة، والأشجار. ومما يقال عن إطلاق اسم العذراء على غالبية كنائس مصر بوجه عام أن أحد البطاركة أراد أن تأخذ العذراء وضعا مبجلا أكثر فأمر أن يطلق اسمها على كل الكنائس الأورثذكسية بمصر، ويمكن أن يطلق اسم قديس أو كينونة أخرى كملاك معها، وفي قول آخر أن أثناء بعض عصور الاضطهاد يقال أن المسلمين قرروا أن يهدموا كل كنيسة لا تحمل اسم العذراء، فسمى النصارى كل الكنائس على اسم العذراء وحدها أو اسمها مع كينونة أخرى، كي لا تهدم. والروايات غير مؤكدة تاريخيا. لكن المؤكد هنا أن العذراء هي حبيبة كل المصريين، إذ أن وضعها المميز في القرآن وتسمية سورة باسمها في القرآن ووضعها المميز الذي لم ولن تبلغه امرأة أخرى، قد جعل المصريين كلهم، مسلمين ومسيحيين، يحبونها ويجلونها. الأهم من هذا أن الشعب المصري يشعر أن العذراء تشمله برعايتها وتهتم به، فقد تكررت أحداث ظهور العذراء في مصر سواء بشكل واضح للجميع مثل ظهورها فوق كنيسة الزيتون الصغيرة عدة مرات في ١٩٦٨ م، وفي جبل درنكه بأسيوط وفوق كنيسة الوراق، وظهرت في رؤى لرجال الكنيسة مثال البطريرك أبراهام ابن زرعة في الكنيسة المعلقة بمصر القديمة، وتجلت للأنبا غبريال أولا وحده في أسبوع الآلام بالدير المحرق في أسيوط، ثم لرجال الكنيسة الآخرين (ويقال الشعب بالكنيسة أيضا) أثناء الصلاة. وتعددت الأقوال عن أيقونات العذراء ذات المعجزات بعدة كنائس وأديرة مثل كنيسة الريدانية، بالإضافة لرسمها الذي ينز زيتا من جداريات، مثل كنيسة الراهبات بدير أبو سيفين سيدي كرير بمصر القديمة.

يوسف النجار:

أما عن يوسف النجار، فتعتبره الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأورثذكسية الشرقية ومنها الكنيسة القبطية الأورثذكسية، بمثابة قديس. ولم يرد ذكره في رسائل طارسوس وهي من أقدم المصادر الكنسية، ولا في إنجيل مرقس أقدم الأناجيل، وإن ذكر في إنجيلي متى ولوقا. وقد ائتمنه الله على العذراء وابنها، فكان بمثابة الأب الأرضي للمسيح ابن مريم العذراء. وقام بدور حامي تلك العائلة، كما يقال أن المسيح عمل معه بعض الوقت في حرفة النجارة. وبسبب يوسف النجار ينسب المسيح لسبط يهوذا بيت داوود وكانت هناك نبوءات بهذا الخصوص في الكتاب المقدس. وقد خطبت له العذراء وهي في حوالي الثانية عشرة. فلما عرف أنها تحمل طفلا فكر أن يتركها بلا ضرار كي لا تؤذى أو ترجم، ولكن ظهور ملاك اللرب له جعله يطمئن ويتزوجها ويفر بها وبالمسيح لأرض مصر حتى لا يؤذي هيرودس الطفل الذي كانت هناك نبوءات بخصوصه.

أما عن عصا يوسف النجار، فهناك أشياء كثيرة بشأنها. في البداية عندما كان يتم اختيار زوج للعذراء، أعطى كل من المتقدمين أو المرشحين عصاته، فعششت حمامة على عصا يوسف النجار. ولما جاءت العائلة المقدسة لمصر، كان هناك تراث شفهي يفيد بأن المسيح كسر عصا يوسف النجار لقطع صغيرة وغرسها في الأرض وسقاها بماء عين باركها بالمطرية. ومن عصا القديس يوسف النجار نما نبات البلسان الذي كان يستخدم لعمل الميرون وللشفاء من الأمراض. وهناك قصة شبيهة بتلك بمنطقة مير بأسيوط.

ولكنه يظل من أقل الشخصيات والكينونات التي كرست كنائس باسمها في مصر، هو والملاك جبرائيل أو جبريل. بينما حظيت العذراء بالكم الأكبر من الكنائس المسماة على اسمها بمصر. وتكرس كنائس قبطية كثيرة للغاية على اسم الملاك ميخائيل أحد رؤساء الملائكة. وفي حصون الأديرة القبطية كانت هناك دائما كنيسة باسم الملاك ميخائيل الذي انتصر على الشر، وإن كان من الممكن أن توجد كنيسة أو كنائس أخرى بالحصن لكينونات أخرى. ثم يأتي ثالث أكبر عدد من الكنائس بمصر وهي المكرسة باسم القديس جرجس أو مار جرجس. وكلمة مار كلمة فارسية تعني قديس، وقد دأب المصريون على نطقها بصورة "ماري" وليس مار كما تكتب.

مدة الرحلة:

بخصوص مدة الرحلة، يرى أغلب العلماء أن الرحلة قد استغرقت حوالي ثلاث سنوات وشهرين، أو ثلاث سنوات وستة أشهر. فقد ورد في الدفنار (يوم ٦ هاتور، عيد حلول العذراء بجبل قسقام بأسيوط): "فلنسبح الرب الإله بخوف ورعدة ونمجده باستبشار من أجل رحمته الجزيلة علينا. ولما اجتمع في هذا اليوم الذي هو السادس من شهر هاتور مع والدته العذراء ورسله الأطهار في قسقام، الموضع الذي التجأ فيه ثلاث سنوات من وجه هيرودس المارق وقدس هيكل ذلك البيت". ومنعا للبس فهيرودس الكبير الذي أمر بقتل الأطفال والذي توفى وعمر المسيح ثلاث سنوات وحوالي شهرين أو أكثر، غير هيرودس أنتيباس الإبن والذي عاصر المسيح وقت المحاكمة بعدها بسنوات كثيرة. وبحسب بردية نشرتها جامعة كولون الألمانية سنة ١٩٩٧ م، قضت العائلة المقدسة في مصر فترة ثلاث سنوات وأحد عشر شهرا.

مسار ومحطات الرحلة:

قطعت العائلة المقدسة حوالي ألفين كيلومترا. وعند دخولها لمصر جاءت من ناحية **رفح والعريش** إلى أولى محطات الرحلة وهي **بيلوزيوم Pelusium أو بالوظة أو الفرما.** وتوجد بالفرما عدة كنائس وكانت مركزا رهبانيا، كما كانت ميناءً هاما ومركزًا تجاريًا له ثقله.

هناك إحتمال أن تكون العائلة المقدسة قد مرت من وادي الطميلات. والمصادر هنا من رواية أسبانية يقال أنها رويت بواسطة الملك سانشو الرابع (ال برافو، ١٢٥٧ -١٢٩٥ م). فيقال أن العائلة المقدسة جاءت ومعها عذراء أخرى (غالبا سالومة)، وثلاثة فتيان. فلما قصدوا كهفا ليستظلوا به خرج تنين من المغارة يرعد، ثم ركع أمام المسيح. ويقال أن نخلة استظلوا بها في هيروبوليس Hieroopolis عند تل المسخوطة عند قرية القصاصين، إنحنت لتقطف العذراء من ثمارها. وتطلق الرواية الاسبانية اسم سيينو على المنطقة التي ظهر بها التنين، ومن الصعب معرفة اسم شبيه بتلك المنطقة في مصر. ولا يعتبر هذا التراث الشفهي محليا بمصر لكن وجب ذكره.

ويقال أن العائلة المقدسة مرت بمدينتي "رعمسس" (بر رعمسسو بقنطير الحالية) و"بيثوم" اللتين ذكرتا في سفر الخروج كمسار لخروج بني إسرائيل من مصر، حيث قضى أفراد العائلة حوالي ثلاث ليالي تبعا للسيَر. ومروا ب"بر سوبد" أو صفط الحنة الحالية لمدة ليلة واحدة في ضيافة شخص ما. وهناك آراء تؤيد أن صفط الحنة هي نفسها مدينة "سكوث" التي خرج منها بني إسرائيل من مصر أيام موسى النبي. ويقال أن العائلة المقدسة وصلت إلى المحطة التالية **تل بسطة** في ٢٤ بشنس. وتقع تل بسطة حوالي كيلومتران جنوب غرب الزقازيق، وتعد الآن منطقة حيوية ومزارا أثريا هاما. وقد ذكرت تلك المدينة في الكتاب المقدس باسم "بي -بيسيث" في سفر حزقيال ١٧:٣٠ و ١٨ حيث كان اسمها باللغة المصرية القديمة "بر باستت". وكانت مدينة هامة بمعبد كبير للمعبودة باستت القطة، من هنا اسم بسطة كما يسمي كثير من المصريين القطة "بسة". ويقال أن لصين هما دوماخوس وهو سوري يهودي، وتايتوس وهو مصري، سرقا صندل المسيح المذهب المفضض. وقد رد اللص المصري على اللص السوري الذي اقترح سرقة ملابس العذراء وابنها لأنها تشبه الملابس الملكية، وقال له أنه لم ير طفلا في حياته كهذا فيحسن ألا يقربوا تلك الأسرة بأذى. وتقول المصادر أن أهل المدينة لم يستقبلوا العائلة المقدسة استقبالا حسنا، وأن العذراء طلبت ماء لتسقي ابنها فلم يعطها أهل بساطة أو تل بسطة. فيقال أن المسيح رسم علامة الصليب بيده الصغيرة فتفجرت عين ماء عذبة كالعسل، وباركها المسيح وقال أنها ستشفي الكل ما عدا أهل هذه المدينة الذين أبوا أن يكرموهم.٣ وتبعا لمصادر أخرى ضرب يوسف النجار الأرض بجوار شجرة استظلوا بها فانفجرت عين ماء شربوا منها. أما التراث الشفهي لأهل المنطقة فيقول الأهالي أن العائلة المقدسة قد مرت بتل بسطة وأن المسيح قد فجر عين ماء، وأن أصنام المعبد الكبير تحطمت أثناء مرور أفراد الرحلة. وتقول بعض المصادر المكتوبة أن شخصا يدعى قلوم دعاهم لمنزله ليساعدهم واعتذر لأن زوجته مريضة تلازم الفراش منذ ثلاث سنوات. فبارك المسيح منزلهما وقامت الزوجة المريضة سارة من فراش مرضها وإذ بها قد شفيت لترحب بالعائلة المقدسة. وقد طلب قلوم وزوجته من العائلة المقدسة البقاء لفترة أطول

لوجود الطفل المبارك. وأعربت العذراء مريم عن رغبتها في ان تزور معبدا وثنيا كبيرا بمنطقة تل بسطة لوجود احتفالات به. وقد ذكر هيرودوت المؤرخ الشهير إحتفال باستت الديني الكبير بما فيه من موسيقى ورقص. ويقول السنكسار أن المعبد اهتز وتكسرت أصنامه بمرور المسيح ساعة الظهيرة. ووصلت الأنباء للحاكم فشك أن هذا الطفل هو نفسه الطفل المبارك الذي كان هيرودس يبحث عنه. ولما سمع قلوم الأخبار نصح العائلة المقدسة أن تهرب في الليل. وتقول المصادر أن منزل قلوم الذي ساعد العائلة المقدسة يقع بين كنيسة العذراء مريم ويوحنا الحبيب، وكنيسة مار جرجس بالزقازيق.

أما عن **مسطرد (المحمّة)**، فتقع مسطرد حاليا بمحافظة القليوبية على شاطىء ترعة الإسماعية وعلى الجانب الشرقي للنيل. وكانت قديما قرية في ولاية الشرقية. وفي الروك الناصري ذكرت باسم المحمية بدلا من المحمّة. ويقال أن العائلة المقدسة توقفت فيها أثناء الذهاب والعودة. وهناك أيضا رواية أن المسيح فجر نبع الماء الموجود هناك في طريق العودة وليس الذهاب. وفي قول الأنبا غريغوريوس في كتاب الدير المحرق، أن المسيح هو الذي أنبع نبع الماء، وأن العذراء أحمته وغسلت ثيابه هناك لذا سميت المنطقة بالمحمة. وتفاءل الناس بعين الماء وقيل أنها شافية من الأمراض ودأبوا على أخذ مائها الشافي المبارك. وهناك مغارة قديمة يعتقد أنها المكان الذي احتمت به العائلة المقدسة أثناء رحلتها لمصر. وقد دأب المسلمون أيضا على زيارة هذه الكنيسة لما توارثوه من آبائهم من معلومات تؤكد أن العائلة المقدسة جاءت لهذا المكان واستراحت به لفترة، غير ما تناقله الناس عن الماء البركة. وقد كتب المقريزي عن كنيسة مُنية صُرد أو مسطرد الحالية قائلًا: "كنيسة السيدة مريم وهي جليلة عندهم".٤

وذهبت العائلة المقدسة بعدها للشمال الشرقي إلى **بلبيس** بمحافظة الشرقية التي تبعد عن القاهرة حوالي ٥٥ كيلومترا. ويقال أن اسمها مشتق من "بر بس" أي منزل الإله بس. ولمنطقة شرق الدلتا جذور تاريخية هامة، إذ كان بها عدة عواصم لمصر القديمة، ضمنها ثلاث عواصم في محافظة الشرقية وحدها. ويرجح العلماء أن أرض جاسان أو جوشن التي استعبد فيها فرعون بني إسرائيل، كانت في شرق الدلتا. ويقال أن المسيح أقام وحيد أرملة من نعشه أثناء جنازته في بلبيس (تبعا لميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا كان شابا وحيدا إبن أرملة). فلما عرف أهل المدينة بهذا صدقوا أنه المسيح المنتظر وآمن به كل أهل بلبيس تبعا للتقليد الشفهي، وأكرموا العائلة المقدسة ويقال أنهم أول من أكرم وفادتهم بحفاوة في مصر. وكانت هناك شجرة في بلبيس أطلق عليها السكان اسم شجرة العذراء. ويقال أن جنود نابليون حاولوا قطعها حوالي ١٧٩٨ م ليشعلوا النيران فسالت منها الدماء وانصرفوا خائفين. ثم قطعها بعض العمال لاستخدامها لإشعال نار حوالي ١٨٥٠ م. ويقال أن

الناس كانوا يحجون لتلك الشجرة حتى ١٨٥٠ م. وقد روى مثلث الرحمات البابا شنودة أنه سمع أن بضواحي بلبيس قرية تسمى ميت حمل، كان بكنائسها مائة مذبح. ويقال أن جامع عثمان ابن الحارث الأنصاري بقلب بلبيس من الأماكن التي مرت بها العائلة المقدسة ببلبيس، ويقع عند تقاطع شارع الأنصاري وشارع البغدادي.٥ ومن الكنائس القبطية القائمة حاليا ببلبيس كنيسة مار جرجس بالشمال الشرقي للمدينة، وكنيسة العذراء مريم.

واستمروا في السير للشمال. ويذكر الأنبا زخارياس (أحيانا تكتب زخاريوس) أسقف مدينة سخا في القرن السابع الميلادي بميمره المرتبط برحلة العائلة المقدسة، أنهم وصلوا إلى منية جناح التي تقع بالقرب من سمنود فقابلهم أهلها بفرح زائد وطلبت العذراء من المسيح (المخلص تبعا للميمر) أن يبارك المدينة وأهلها، فأجابها أنه سوف يكون في هذه المدينة بيعة باسمي واسمك إلى الأبد.٦ وتقع منية جناح أو منية سمنود بمركز أجا، محافظة الدقهلية الحالية. ومنها عبروا النيل فرع دمياط إلى **سمنود** الحالية بشمال شرق محافظة الغربية حوالي ٨ كم من المحلة الكبرى أو خمس عشر كم من مدينة المنصورة (جَمنودي أو سب نثر القديمة عند فرع دمياط). وكان فرع دمياط قديما يعرف بالفرع السبنيتي للنيل، علما بأن سمنود كان اسمها "سبينيتوس" Sebennytos. ويقال أن العذراء ساعدت هناك امرأة في صنع خبزها. وحسب التراث الشفهي لأهل سمنود يقول الأهالي أن كنيسة أبانوب قد بنيت على أنقاض كنيسة باسم العذراء في الموضع الذي مرت به العائلة المقدسة. ويقول الأقباط بسمنود أن موقعًا بصحن كنيسة أبانوب (عند شرقية الكنيسة) كان به بئر باركها المسيح أثناء مرور العائلة المقدسة بالمكان. ويوجد ماجور من الجرانيت بجوار البئر يقال أن العذراء عجنت به. وتقع كنيسة العذراء والشهيد أبانوب عند التل الأثري لمدينة سبنيتوس الرومانية ولها قبة عالية. بالنسبة للآثار المادية هناك فقد تم العثور فعلًا على مخطوطات أثرية وأيقونات أقدم من تاريخ بناء الكنيسة. والمخطوطات بها كلام عن وقف على "بيعة للست السيده مريم العذراء الطاهرة البكر البتول، الثابت أساسها بناحية سمنود."٧ ويقول المقريزي "وبسمنود كنيسة على اسم الرسل عملت في بيت".٨ أما الاحتفال الرئيسي بكنيسة أبانوب فيتم في ٣١ يوليو من كل عام احتفالًا بمولد القديس أبانوب.

هناك كنيسة قديمة للعذراء بدقادوس التابعة لميت غمر بالدقهلية. يقال أن الكنيسة بنتها الملكة هيلانة في أوائل القرن الرابع الميلادي ضمن الكنائس التي أقامتها بالمواقع التي مرت بها العائلة المقدسة. واسم مدينة **دقادوس** (غير مؤكدة كمحطة من محطات الرحلة) يأتي من كلمة "ثيؤوتوكوس" اليونانية التي تعني أم الإله، وهي من ألقاب العذراء مريم. وقد بنيت كنيسة أحدث فوقها في ١٢٣٩م ثم في ١٨٨٨ م. وكان الشيخ الشعراوي يسكن في منزل في زمام الكنيسة ويقول للناس

دائما أنه من بلد العذراء التي كرمها القرآن كما لم يكرم أي من نساء العالمين. ويذكر خدام الكنيسة بدقادوس تقارب الشيخ الشعراوي منهم على مر السنوات. وضريح الشيخ شعراوي ومنزله الأكبر حجما الذي بناه لأولاده لاحقا، قريب من الكنيسة بدقادوس ولكن أبعد من منزل الشيخ شعراوي القديم الذي كان ملاصقًا للكنيسة. ورغم عدم ثبوت هذا الموقع كمحطة في رحلة للعائلة المقدسة، إلا أن وجود مغارة تحت الكنيسة وما يروى على لسان الأهالي من كرامات تلك الكنيسة القديمة، واعتزاز الكل بها ومنهم الشيخ الشعراوي الذي ظل يعتز بتلك البقعة لماته، قد تدل أنها من الأماكن التي مرت بها العائلة المقدسة أثناء رحلتها، كما وجدت مخطوطات أثرية بالكنيسة.

وهناك أيضا كنيسة العذراء بقرية **الريدانية** التي تتبع مركز المنصورة وعلى بعد حوالي ١٠ كم من مدينة المنصورة (ويجب ألا نخلط بينها بين الريدانية التي وقعت بها المعركة الشهيرة في ١٥١٧ م بين السلطان العثماني سليم الأول وسلطان المماليك طومان باي، وهي عند حي العباسية بالقاهرة الآن). وبكنيسة الريدانية بالدقهلية أيقونة ذات معجزات للعذراء مريم. وقد كتب عنها المقريزي فقال: "وبالريدانية كنيسة السيدة، ولها قدر جليل عندهم"٩. وتذكر تلك الكنيسة بالقداس الكيهكي، إلا أن أحدًا لم يذكر أن العائلة المقدسة مرت بها، لكن أهل المنطقة يقولون أن العذراء كانت تظهر هناك عن طريق أيقونتها الأثرية التي تروى عنها معجزات كثيرة. وهناك اعتقاد عند المصريين أن العذراء تعود فتزور الأماكن التي مرت بها أثناء رحلتها.

تتحدث أغلب الميامر عن مرور العائلة المقدسة بمنطقة **البرلس** بعد أن سارت بالقرب من ساحل البحر المتوسط. وكانت بحيرة البرلس وهي من أقدم بحيرات مصر، تعرف باسم بحيرة بوتو، أوبحيرة بوطيكو أوبحيرة نيكيولوس، وبحيرة نستراوه، ثم باسم بحيرة بارالوس في نهاية العصر الروماني. وفي مصادر كالسنكسار المصري والإثيوبي، يقال أن العائلة المقدسة مرت على قرية تدعى شجرة التين عند البرلس فلم يكرموهم. فساروا لقرية المطلع التي استقبلهم فيها رجل من أهلها بترحاب. وفي دير القديسة دميانة والأربعين عذراء **ببراري بلقاس أو وادي السيسبان أو إقليم الزعفران**، ينقل الآباء تراثا شفهيا مفاده أن العائلة المقدسة قد مرت بموقع الدير بعد سمنود وأثناء سيرها لمنطقة البرلس. ويقال أن الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين قد أقامت الدير في القرن الرابع الميلادي كما أقامت كنائس وأديرة في كل موضع مرت به العائلة المقدسة في مصر. وتبعا لسير القديسين نعرف أن والد القديسة دميانة كان والي إقليم الزعفران. ويقال أنه بنى مكانا بحريا بالمدينة لابنته صار بيتا للعذارى. وكانت القديسة تتميز بالطهر والجمال ورفضت عبادة الأوثان وتحدت الإمبراطور. وقد استشهدت القديسة دميانة والأربعين عذراء اللواتي كن معها ببيت العذارى، وتم دفنهن جميعا بكنيسة القبر بالدير الحالي. ويحكى عن معجزات كثيرة بهذا المكان.

ويشتمل دير القديسة دميانة على عدة كنائس منها الكنيسة الأثرية وكنيسة القبر المقدس. أما كنيسة العذراء وكنيسة القديس أنطونيوس فقد تم بناؤهم بالكامل في القرن التاسع عشر، وبه أفضل مشغل تطريز وحياكة في أديرة مصر. ويقام بالدير عيد سنوي من ١ -١٢ مايو من كل عام يحضره كثير من المسلمين أيضا لما يحكى عن معجزات شفائية ومعجزات مرتبطة بالحمل والولادة. ثم أن هناك روايات عن راهبة حديثة السن حكى الناس أنها تظهر في شكل فتاة شابة جميلة ترتدي ملابس رمادية لتساعد أشخاص بالمنطقة ثم تختفي. هناك تراث شفهي يقول أنها القديسة دميانة وقد اعتادت الظهور لتساعد المسافرين. وهناك آراء أقل تقول أن الراهبة الشابة ذات الوجه العذب قد تكون العذراء نفسها، إذ حدثت أيضا معجزات ظهور نور وحمام مضيء في الليل فوق دير القديسة دميانة. ويقول بعض الرهبان أن النور الباهر والحمام المحلّق من ضمن الأشياء التي تظهر مرتبطة بالعذراء مريم.

بعدها عبروا فرع دمياط للغربية، ثم وصلوا إلى مكان يقال أن العذراء أوقفت المسيح فيه على قاعدة عامود، فانطبعت آثار قدمه الصغيرة ونبعت منه عين ماء. وعرفت المنطقة لاحقا (حوالي القرن العاشر الميلادي) باسم **"پيخا إيسوس"** أو كعب يسوع. وهناك اختلاف على موقع بيخا إيسوس أو كعب المسيح، فيعتقد البعض أنها قرية الباسوس بين القاهرة وقليوب، بينما يرجح أغلب الناس ومنهم د. مراد كامل، أن بيخا إيسوس هي مدينة **سخا**. وكانت تعرف قديما بأرض السباخ (ويقال قبل قدوم المسيح). وتقع سخا في زمام مدينة كفر الشيخ في محافظة كفر الشيخ الحالية بين فرعي النيل. وعرفت في العصر الفرعوني باسم "خاست" وأحيانًا "خاسوت" وهي صيغة الجمع باللغة المصرية ل"خاست"، وكانت حاضرة الإقليم السادس لمصر السفلى أو الوجه البحري، وعرف الإقليم ككل باسم خاست. ويبدو أن الاسم إنقلب من نطق "خاسا" ل "سَخا" وهذه يحدث كثيرا في اللغة. وفي اليونانية عرفت سخا باسم "خوا" Xois. وقد اشتهرت بعامود عليه طبعة لأثر قدم المسيح. ويقال أن العذراء أوقفت المسيح على عامود وعرف المسيح أنها عطشى، ففجر نبع ماء من الحجر كما انطبعت آثار قدمي المسيح بحجر العامود. ويقال أيضا أن القديس أغاثون العمودي عاش في عامود هناك لخمسين سنة. وقد كتب موضوع طبعة قدم المسيح في السنكسار كما أن كنيسة العذراء بسخا لا يزال بها حجر الذي يحمل طبعة قدم المسيح. وهو حجر لونه كلون الرمل الأصفر ويبلغ طوله ٦٠ سم وعرضه حوالي ١٥ سم، وبه آثار قدم المسيح كأثر قدم طفل في حوالي الثانية من عمره. وكان الحجر الذي يحوي طبعة قدم المسيح قد أخفي في فناء الكنيسة في القرن الثالث عشر، ثم تم العثور عليه بشكل غير متوقع في القرن التاسع عشر أو العشرين (يقال أنه وجد في ١٩٨٤ ونال اعتراف الأنبا بيشوي، مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري). وكان الناس يتبركون به

ويضعون زيتا في التجويف الخاص بالقدم، ثم يخلط بزيت آخر ويوزع على الناس. وكان بجانب كنيسة العذراء مريم بسخا مغطس روماني ودير يسمى بدير المغطس ظل عامرا بالرهبان حتى نهاية القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر الميلادي. وقد ذكره أبو المكارم في كتاب الكنائس والديارات في ١٢٠٩ م، كما ذكره تقي الدين المقريزي (١٣٦٤ -١٤٤١ م) في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، فقال أن العذراء كانت تظهر عند دير المُغطس في يوم ٢٤ بشنس بحيث سماه أهل المنطقة عيد ظهور العذراء مريم. وكان المسلمون يتوافدون على الدير أيضا ليروا ظهور العذراء وهو تقليد توارثوه من آبائهم، وربطوا بين ظهورها هناك ورحلة العائلة المقدسة حيث يقول الناس أن العذراء تظهر في بعض الأماكن التي حلت بها العائلة المقدسة في مصر. ويقال أن تلك المنطقة كان يؤخذ منها الملح الرشيدي، وقد هدم دير المغطس في رمضان سنة ٨٤١ ه،١٠ وأقيمت كنيسة مكان الزيارة يقام احتفالها يوم ٢٢ مايو من كل عام.

بعدها عبرت العائلة المقدسة الفرع الغربي للنيل، غالبًا عند دسوق وهي منطقة روحانية اشتهرت بسيدي إبراهيم الدسوقي،١١ والطرق الصوفية وأهمها بالمنطقة الطريقة الدسوقية. واتجهوا لمحافظة البحيرة حتى وصلوا قرية طرانة بالقرب من الخطاطبة. وساروا غربا حتى **وادي النطرون** أو برية شيهيت أوالإسقيط/سكيتس Scetis. ويقع الوادي حوالي منتصف طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوي أمام مدينة السادات. وقد عرفت تلك المنطقة منذ العصر الفرعوني حيث كان يؤخذ منها ملح النطرون، وهو خليط من الكربونات والبيكربونات، وكان يستخدم في التحنيط. وكما يقال أن لفظ "آلكيمي" أي الكيمياء أو السيمياء قد أخذ من اسم مصر القديمة "كمي" أو "كمت"، فإن اسم النطرون Natrum للصوديوم قد أخذ من تلك البقعة بأرض مصر وليس العكس. ويقال أن المسيح باركها وتنبأ بأنها ستكون سكنا لكثير من الرهبان والمتوحدين "سيخدمون الرب كالملائكة". وقد صارت تلك المنطقة بالفعل منطقة رهبانية شهيرة، وكان بها الكثير من الأديرة وقلالي الرهبان١٢ قد تصل للخمسمائة دير بحسب التراث الشفهي (ويقال ٧٠٠ أحيانا مما يرجح إعتبار قلالي الرهبان بمثابة أديرة مستقلة). ويذكر المقريزي أنه كان بالوادي مائة دير.١٣ وتوجد بها حاليا أربعة أديرة كبيرة بالوادي عامرة أي مأهولة بالرهبان، هي أديرة الأنبا مقار، والأنبا بيشوي، والسريان والبراموس. ويوجد بها نبع الحمرا (الحمراء)، وهو نبع يقال أن العائلة المقدسة استراحت عنده. ومن العجيب أن هذا المكان الساحر لم يسمع به الكثيرون أو يذكروه، رغم أن به بحيرة شديدة الملوحة تستغل في الشفاء من الأمراض الجلدية وغيرها، وعندها نبع مياه حلوة صافية في منتصف البحيرة شديدة الملوحة لذا يعتبر معجزة حقيقية. وتعرف البحيرة بنبع الحمرا لاحمرار لونها ومياهها الكبريتية التي تبلغ درجة ملوحتها درجة غير عادية، أقل قليلا من البحر الميت. وقد تم وضع

سياج مؤخرا حول النبع الذي يعرف أيضا باسم "عين العذراء" بقلب البحيرة المالحة. وقد ذكر المقريزي دير "بو مقار الكبير" على دير الأنبا مقار الحالي بوادي النطرون، وقال أنه "دير جليل عندهم وخارجه أديرة كثيرة خربت". وذكر أنهم كانوا يجلسون (أي يقوموا بتنصيب) البطرك بهذا الدير بعد جلوسه بكرسي الاسكندرية، وقال أنه كان به ١٥٠٠ راهب.١٤ ويعتبر الأنبا مقار الكبير هو والد برية شيهيت، إذ جاء إليها من قرية شبشير بالمنوفية مسقط رأسه حوالي ٣٤٠ م، بناء على تشجيع من ملاك الشاروبيم الذي ظهر للأنبا مقار الكبير برؤيا أثناء مروره بالبرية، وقال له أن الله يهبه هذا الجبل ليتفرغ هو وأتباعه (أولاده) للتعبد به تبعا لسيرة القديس.

ويقال أن العائلة المقدسة عبرت النيل جنوبا حتى وصلت للقناطر الخيرية. وبدأت مرحلة القاهرة المطرية وعين شمس ومصر القديمة والمعادي من الرحلة. فسارت العائلة المقدسة شمالا حتى وصل أفرادها لمدينة إيونو أي عامود باللغة المصرية القديمة، أو **أون** القديمة. وكانت تلك المدينة من أقدم وأعرق وأهم مدن مصر حيث كانت مقرا لعبادة إله الشمس رع. واشتهرت بعلومها ومعابدها التي ما زالت تخرج الكثير من الآثار. وتقع بقايا المدينة في منطقتي **عين شمس والمطرية** حيث توجد الآن مسلة ضخمة من الجرانيت لسنوسرت الأول. واسم عين شمس نفسه من تراثها القديم. وعرفها اليونانيون باسم "هليوبوليس" أي مدينة الشمس، وهو الاسم الذي أطلق لاحقا على ضاحية مصر الجديدة. وذكرت مدينة أون العظيمة عدة مرات في الكتاب المقدس، فعلى سبيل المثال تزوج يوسف الصديق من أسناث إبنة پوطيفا رع، كاهن مدينة أون (غالبا كبير كهنة رع آنذاك)، وهو منصب عالي رفيع ومقرب لفرعون (سفر التكوين ٤١: ٤٥، ٥٠)، "وولد ليوسف في أرض مصر منسى وافرايم اللذان ولدتهما له أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون" (سفر التكوين ٤٦: ٢٠). وذكرت أون أيضا بشكل غير مباشر غالبا في سفر أشعيا ١٩: ١٨ "في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود، يقال لإحداها مدينة الشمس". ومدينة الشمس هنا هي في الغالب إيونو الشمالية. وذكرت في سفر حزقيال ٣٠: ١٧ "شبان أون وفيبستة يسقطون بالسيف، وهما تذهبان إلى السبي". وأون هي عين شمس، وفيبستة هنا غالبا تل بسطة بالزقازيق. كما ذكرت في إرميا ٤٣: ١٣ باسم "بيت شمس". وفي هذا النص نبوءة على لسان إرميا بدخول نبوخذ نصر إلى مصر وتحطيم معابدها، ويقول النص : "ويكسر أنصاب بيت شمس التي في أرض مصر ويحرق بيوت آلهة مصر بالنار".

سارت العائلة المقدسة إلى **المطرية** التي ذكرت في إنجيل متى المزيف، وفي السنكسار المصري والإثيوبي، كما تحدث حجاج القدس في القرون الوسطى عن تلك الزيارة للمطرية. وتوجد بالمطرية شجرة يطلق عليها اسم شجرة مريم، وهي شجرة جميز عجوز راقدة على الأرض، وإن طالت يد

الإهمال هذا الموضع الآن. ومن ضمن ما روي كتراث شعبي أن تلك الشجرة مالت بجذعها حتى تصل يد العذراء لفاكهتها بدون جهد. ومن كثرة ما روي عن هذه الشجرة وحديقة البلسان حولها، أصرت الإمبراطورة الفرنسية أوجيني أن تزور شجرة مريم بالمطرية يوم الإثنين ١٨ أكتوبر ١٨٦٩ م عندما جاءت لمصر بمناسبة افتتاح قناة السويس، كما دأب حجاج بيت المقدس في القرون الوسطى على زيارتها. وهناك أفرع أخذت من الشجرة وزرعت في مناطق أخرى بمصر والعالم وقد ازدهرت بينما ذوت شجرة المطرية. وذكر أبو المكارم أن كنيسة بنيت بالمنطقة في القرن الخامس وعرفت بكنيسة الذهب. وفي ١٩٥٢ بنيت كنيسة العذراء الحالية عند شجرة مريم. ويوجد بئر ماء عند الشجرة. وفي عام ١٩٦٧ م أصدرت هيئة البريد طابعا تذكاريا عن شجرة مريم. وكان آخر تطوير يذكر بمنطقة شجرة مريم بين ١٩٨٨ و ١٩٩٢ م، حيث افتتحت في ٢١ مايو ١٩٩٢ بواسطة البابا شنودة وعدد من كبار المسئولين بالدولة وبقطاعي الآثار والسياحة. وهناك مصادر من العصور الإسلامية المبكرة تقول أن نوعا من النبات اسمه البلسم أو البلسان،١٥ قد نما وازدهر في تلك المنطقة بعد زيارة العائلة المقدسة. ويقال أنه كان عطر الرائحة ويشفي الجروح والأمراض وكتب عنه الكثيرون، كما كان يستخدم في عمل زيت الميرون بالكنيسة. وتبعا لما روي فقد قام المسيح بكسر عصا ليوسف النجار ووضع قطع الخشب في الأرض ورواها بيده بماء البئر التي فجرها بنفسه، ويقال أن ماءها كان عذبا كالعسل مثلما قالوا عن ماء بئر تل بسطة بالشرقية. وتبعا للسنكسار فقد قال المسيح أن البلسم طيب الرائحة سينمو في ذلك الموضع للأبد ومنه سيأخذ المسيحيون الزيت للتعميد. ولا يزال هناك شارع في المطرية يعرفلابشارع البلسم، وآخر يسمى بئر مريم. ويقال أن الأمير يشبك المملوكي (حوالي ١٤٦٧ -١٤٩٦ م) قد بنى قبة كان يدعو فيها سيده قايتباي بالقرب من المكان. وكان هناك حراس للمكان من المسيحيين في فترات معينة، وكان أغلبهم من الأجانب. وكانت مهمتهم حماية الشجرة حتى لا يقطف البلسان بكثرة بواسطة الزوار وخاصة الحجاج. وقال الرحالة والكاتب لودولف فون سوخم Ludolf von Suchem في ١٣٣٦ م، أنه رأى أربعة ألمان من شفارتسنبورج في حراسة منطقة. ويقال أن الحجاج كانوا يدفعون ست عملات ذهب بندقي (دوكات) للدخول والاستحمام بالماء المحيط بحقل البلسان بالمطرية، وكانت الدوكات عملة دولية شائعة وواسعة الانتشار في القرون الوسطى. ويقال أن الماء المحيط بالبقعة كان أيضا شافيا. وروى الأب الدومينيكاني الأخ فيلكس فابري حوالي ١٤٨٠ م، أنه رأى قرابة البوابة شجرة تين هائلة مجوفة بها قنديلان مثل الهياكل الكنسية، ويقال أنها فتحت جذعها لتأوي العائلة المقدسة بها. وتبعا لما قيل، كانوا لا يسمحون بدخول أكثر من خمس زوار للمنطقة في آن واحد. ويقال أن البلسم الشافي كان يؤخذ من الفاكهة أو بغلي الأغصان. وكان السلطان يعطي حصة من البلسم للبطركين (غالبا الملكاني واليعقوبي أي البابا الكاثوليكي

والبابا القبطي الأورثذكسي). وهناك رواية رواها فيلكس فابري عن فلافيوس جوزيفوس المؤرخ اليهودي، تقول أن البلسان قد جاء من الأراضي المقدسة وأنه في الأساس من نبتة أهدتها ملكة سبأ للملك سليمان، وأن القيصر أوغسطس كان هو الذي أحضرها للمطرية من فلسطين. وهذه الرواية غير مؤكدة بل يعتقد أن البلسان نما بالمطرية ثم انتقل لمناطق أخرى واندثر في المطرية. ويقال أن السلطان الملك الكامل (١٢١٨ -١٢٣٨ م) قد طلب من والده العادل أن يزرع بعضا من البلسان في أرض قريبة. ولم ينمُ البلسان إلا عندما رواه بماء من البئر المباركة بالموقع. ولا يوجد أثر الآن للبلسان بجوار شجرة مريم، ومن الأقاويل عن المنطقة أن الشجرة الحالية بالمنطقة زرعت بالمطرية في ١٦٧٢ م وليست من السنوات الأولى الميلادية. وهناك تراث شفهي مفاده أن هناك شارع بمنطقة المطرية (يقولون أحيانا شق التعبان أو شارع عيد، أو شارع اللموني)، لا يرتفع الخبز فيه مطلقا إلى اليوم لأن أهله لم يعطوا "حدقا" أي خميرة للعذراء لتخبز. وفي قرى الصعيد حيث لا يزال الأهالي يخبزون الخبز الشمشي أي الشمسي، تردد السيدات جملة وهن يخبزن، يتذكرن فيها الذين لم يعطوا "الحدق" أي الخميرة للعذراء لتخبز.

وليس مؤكدا أن العائلة المقدسة قد مرت بالزيتون تبعا للسنكسار، لكن مرورهم من الزيتون في طريقهم للفسطاط محتمل جدا، إذ حدث ظهور للعذراء بالزيتون يوم الثلاثاء ٢ أبريل عام ١٩٦٨ م فوق كنيسة صغيرة على اسمها، ثم بنيت كنيسة كبيرة باسم العذراء أمام الكنيسة الكبيرة تعد حاليا من أكبر الكنائس بالشرق الأوسط. وتبعا للاعتقاد المصري قد يكون ظهور العذراء بالزيتون دليل على مرورها به قديما. وقد حدثت معجزة الظهور في وقت حديث نسبيا وهناك عدد من كبار سن يروون عن رؤيتهم للعذراء. وكان الناس يتوافدون بالآلاف آنذاك، خاصة في الليل ليترقبوا ظهور العذراء. وكانت الأنوار تطفأ بالمنطقة ليترقب الناس ظهور العذراء. ويقال أن الرئيس عبد الناصر وأسرته يرافقه حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة، قد زار موقع الكنيسة في ١٩٦٨ ووقف ليترقب ظهور العذراء من شرفة منزل أحمد زيدان كبير تجار الفاكهة، وكان مواجها للكنيسة. وفي موسوعة تاريخ الأقباط وكتاب عبد الناصر والبابا كيرلس السادس، يقال أن عبد الناصر ظل ساهرا وشاهد العذراء في الخامسة صباحا. بعدها تنازلت الحكومة عن أرض جراج النقل العام وبنيت كنيسة ضخمة مكانه.

يوجد موقع آخر هنا لا تتناوله أغلب المصادر وهو من المواقع الأقل تأكيدا وهو موقع كنيسة العذراء العزباوية بالأزبكية. وهناك تراث شفهي عريض خاص بهذا المكان. فيقال أن حقلا زراعيا كان بتلك المنطقة وأن العائلة المقدسة مرت عليه وكان الجنود وراءهم، ويقال أن العذراء أوصت الفلاح الذي كان يقوم ببذر حبوب البطيخ في الأرض أن يقول للجنود أنهم مروا وقت أن كان

يبذر البطيخ. ونما البطيخ سريعا بمعجزة ولما سأله الجنود وأجاب أنهم مروا منذ أن رمى بذر البطيخ في الأرض فهموا أن العائلة المقدسة مرت من شهور ومضوا خائبين. ويقول الأهالي أن البئر الكائنة عند الكنيسة شربت منها العائلة المقدسة وباركتها فلما رُوي البطيخ منها ازدهر ونما بسرعة غير عادية. ومازال الأهالي يتبركون بالبئر. ويقال أن اسم العزباوية جاء من كلمة العزبة حيث أن مقر الأسقف كان يعرف بالعزبة.

وبعد المطرية والزيتون سارت العائلة المقدسة لمنطقة مصر القديمة أو **الفسطاط** على الجانب الشرقي للنيل. ويقال أن العائلة المقدسة أقامت بمغارة توجد حاليا أسفل كنيسة القديسين سرجيوس وواخوس أي كنيسة أبو سرجة بمصر القديمة. وهناك بئر حاليا داخل كنيسة صغيرة بجبانة الروم الأورثذكس عند كنيسة مار جرجس الخاصة بطائفة الروم الأورثذكس بمصر القديمة، ويقال أن العائلة المقدسة شربت منها ويذهب الناس لأخذ مائها والتبرك به. وتوجد مجموعة كنائس قديمة بمنطقة حصن بابليون. ويقال أن العذراء تجلت للبابا أبرآم (أو أبراآم) بن زرعة البطريرك ال٦٢ للكنيسة القبطية الأورثذكسية في الكنيسة المعلقة بمصر القديمة، في حادثة نقل جبل المقطم التي يقال أنها تمت في عصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. ودائما ما يعتقد المصريون أن العذراء تعود للأماكن التي مرت بها بمصر. ولكن بالنسبة للوقائع التاريخية، فإن تلك المنطقة كانت بداخل حصن بابليون بمصر القديمة.١٦ واسم بابليون من غير المعروف اشتقاقه، لكن قد يكون مشتقا من "باب إل" أي باب الإله بلغة سامية، أو "باب أون" حيث أنها كانت ضمن الإقليم الثالث عشر لمصر السفلى الذي كانت أون عاصمته. والمكان بين مدينتي أون ومنف القديمتين. وكانت تلك المنطقة مقرا للبطريرك القبطي الأورثذكسي منذ منتصف القرن الحادي عشر لأوائل القرن الرابع عشر الميلادي حيث انتقلت لكنيسة العذراء بحارة زويلة أو العذراء حالة الحديد لمعجزتها الشهيرة عندما حلت حديد المسجونين، وتقع بالقرب من الخرنفش وقريبة من شارع بورسعيد. وكان البابا خريستوذولس رقم ٦٦ على كرسي القديس مرقس، هو أول بطريرك كان مقره الكنيسة المعلقة بمصر القديمة. وقد سميت بالمعلقة لأنها بنيت على برجين من أبراج حصن بابليون. وتعد المعلقة أقدم كنائس منطقة مار جرجس وحصن بابليون (ربما كانت معبدا قديما من القرن الأول ق.م. وبها بقايا من القرن الرابع، لكن البناء الحالي يرجع لحوالي القرن السابع عشر أو الثامن عشر م). وقد بنيت عدة كنائس وأديرة بالمنطقة، منها كنيسة العذراء قصرية الريحان (قبل القرن التاسع وأعيد بناؤها في القرن الثامن عشر م)، وكنيسة القديسة بربارة (قرن خامس/سابع م)، ودير مار جرجس للراهبات (حوالي القرن الخامس عشر م)، وكنيسة أبو سيفين (حوالي القرن الخامس م) والعذراء الدمشيرية (قبل القرن الثامن م)، وكنيسة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين (حوالي القرن

الثامن م)، والمعبد اليهودي على اسم الرابي أبراهام بن عذرا (قرن حادي عشر م)، وكان في السابق كنيسة باسم الملاك ميخائيل ومثل أغلب كنائس مصر القديمة كانت على الطراز البازيليكي الذي أخذه الرومان من المعابد المصرية، وهو شكل مستطيل تقسمه البواكي إلى ثلاثة ممرات، الممر الأوسط هو الأعرض ويؤدي للهيكل الرئيسي غالبا. وتوجد مجموعة كنائس وأديرة أخرى للجنوب منها كنيسة أباكير ويوحنا (حوالي قرن سابع م، وأسوارها حوالي قرن عاشر أو ثاني عشر م)، ودير الملاك ميخائيل الجنوبي (صار كنيسة الآن، قرن عاشر/حادي عشر م) ، وكنيسة الأمير تادرس المشرقي (حوالي قرن عاشر م)، وكنيسة السيدة العذراء بابليون الدرج (قرن عاشر/حادي عشر م)، ودير مار مينا العجايبي بفم الخليج (حوالي قرن خامس/سادس م)، وغيرهم. وليس مفهوما سعي العائلة المقدسة للمكوث بحصن به حامية رومانية وهم هاربون من السلطات الرومانية بفلسطين. ولكن ربما لم تبق العائلة المقدسة في منطقة مصر القديمة إلا فترة وجيزة فقط.

ثم واصلت العائلة المسير جنوبا إلى **المعادي**. وتوجد بالمعادي على النيل مباشرة كنيسة مميزة بثلاث قباب تعرف بكنيسة العذراء العدوية. قد يكون مسمى العدوية والمعادي مشتقاً من المعديات التي كانت تعبر النيل في تلك المنطقة، خاصة معدية علي الخبيري الذي عاش في عصر الدولة العثمانية. وقيل أيضا أن اسم العدوية من إمرأة مغربية ثرية أو أميرة، كانت تقطن المنطقة في القرن العشر في خلافة المعز لدين الله الفاطمي. وسميت منية السودان لأن جنودًا سودانيين كانوا يعسكرون بها. وعرفت المنطقة أيضا بالمرتوتي (أو المرطوطي في بعض الكتابات)، وهو اسم جاء في الغالب من "متر ثيو" أو أم الإله باللغة اليونانية، أي العذراء حيث كتب عنها أبو المكارم حوالي ١٢٠٩ م قائلا: "المعادي في البستان المعروف بالعدوية ومنية السودان. ببعة السيدة الطاهرة مرتمريم المعروفة بالمرتوتي داخلة قبة وكانت في القدم معبد لبني اسرائيل لما كانوا في العبودية بأرض مصر، ولما ورد سيدنا يسوع المسيح ووالدته بالجسد ستنا السيدة العذرى الطاهرة والشيخ البار يوسف النجار من الشام جلسوا في هذا المكان الذي فيه صورة السيدة الآن قبالة المذبح المقدس، وانشاها القبط على اسم السيدة فاما انها عرفت بالمرتوتي وهي لفظة بالرومي متيرتا اعني ام الله الكلمة".

وقد روى راعي الكنيسة القس اسطفانوس صبحي أنه تم العثور على كتاب مقدس مطبوع بأواخر ستينيات القرن العشرين، طافيا أمام الكنيسة عند خروج المصلين من الكنيسة عقب قداس الأحد ١٢ مارس، ١٩٧٦. وتبعا لما يروى نزل أب يدعى بشارة للنيل لينتشله من الماء ووجده مفتوحا على صفحة سفر أشعيا التي جاء فيها "مبارك شعبي مصر" (أش ١٩: ٢٥). فاعتبروا أن هذا دليل على مرور العائلة المقدسة بهذا الموقع. والكتاب محفوظ الآن بالكنيسة ليراه الزوار. وكانت هناك جالية يهودية في المعادي أو المرتوتي قديما. ويقال أن موقع المذبح كان مكان أيقونة للعذراء مريم الآن. ويهتم رواد

الكنيسة كثيرا بالسلم المؤدي للنيل بالكنيسة، ويقولون أنه المكان الذي نزلت منه العائلة المقدسة لتأخذ مركبا في النيل يبحر بها للجنوب. وهناك تراث شفهي قوي عن وجود ممر تحت النيل يصل بين كنيسة المعادي بالضفة الشرقية بجنوب القاهرة، ودير طموه بالمنيب بمحافظة الجيزة على البر الغربي للنيل. وفي المكانين لا يذكر أحد الآن أين يقع مدخل السرداب أو الممر السري الذي يعبر النيل بين القاهرة والجيزة، لكن التراث الشفهي القوي خاصة في منطقة طموه ومنيل شيحة بالجانب الغربي للنيل، يؤكد وجود هذا الممر السري أسفل النيل. وربما يكشف عن الممر يوما ما.

بعد هذا هناك روايتان. الأولى أن العائلة المقدسة أبحرت من المعادي بالشرق إلى مدينة **منف** في الجانب الغربي للنيل، والأخرى ترجح أنهم أبحروا جنوبا من الجانب الشرقي للنيل مباشرة. لو كانوا قد ذهبوا أولا غربا إلى مدينة منف، ربما كان ذلك السبب في بناء دير الأنبا ارميا بصقارة وهي جزء من جبانة مدينة منف. ومن كتابات في العصور الوسطى، مثل كتابات ياقوت الحموي حوالي ١٢٢٨ م، علمنا أن مدينة منف كان بها على الأقل كنيستين هما كنيسة منف، وكنيسة الأسقف (غالبا لأن كرسي الأسقفية كان به). وكانت مدينة منف أقدم عواصم العالم بحسب مؤتمر دولي عن العواصم منذ عدة سنوات، إذ كان بها موقع كبير من ما قبل التاريخ، وكانت أول عاصمة لمصر الموحدة من الأسرة الأولى باسم "إينب حچ" أي السور الأبيض. وكانت عاصمة لمصر من الأسرة الثالثة لآخر الأسرة الثامنة الفرعونية. بعد ذلك انتقلت عاصمة مصر عدة مرات من اللشت بالفيوم، لمدينة سايس أو صا الحجر بالغربية، واهناسيا، ومدينة منديس بالقرب من المنصورة، والأقصر والاسكندرية وغيرهم، لكن مدينة منف ظلت أهم المدن المصرية لنهاية التاريخ. فاستمر بعض الفراعنة في إقامة مراسم التتويج بمنف حتى بعد نقل العاصمة لمناطق أخرى، كما كانوا يولون أولياء العهد مناصب كبيرة بالدولة بالجيش والكهنوت في منف تحديدا لثقلها الحضاري والثقافي على مر التاريخ. واستمر الملوك المصريون في بناء قصور ومقار رسمية لهم بمنف حتى بعد نقل العاصمة أيضا. وقد جاء اسم منف من المجموعة الهرمية الجنزية للملك بيبي الأول من الأسرة السادسة وكان اسمها "من -نفر ببي" أي جمال بيبي باق، وأسماها اليونانيون "ممفيس". وعرفت بعدة أسماء أخرى منها "نيوت بتاح" أي مدينة الإله بتاح و"نيوت تا تنن" أي مدينة تاتنن وهو إله مصري قديم يرمز للأرض المرتفعة. الأهم هنا هو أن أحد أهم أسماء مصر جاء من مدينة منف. كان بمنف معبد كبير شهير للإله بتاح كان به مكتبة، ويقال أن إيمحتب ألحق به دار استشفاء حيث اشتهر إيمحتب كمهندس الهرم المدرج للملك زوسر من الأسرة الثالثة وكطبيب فذ. بل يقال أن مدرسة الطب الشهيرة بأكاديمية الاسكندرية التي قامت أيام البطالمة، جاءت علومها من كتابات لإيمحتب نفسه وكان يعرف باسم بتاح، وكتبت على قراطيس إصفر لونها من شدة القدم،

واستخدموا مصطلح صفراء من القدم وهم يككتبون من العصر البطلمي. وعرف هذا المعبد باسم "حوت كا بتح" أي منزل الروح للإله بتاح. ولم يتمكن اليونانيون من نطق حرف الحاء في أول الكلمة وآخرها فصارت "آجوبتا"، ثم زادت عليها السين في النهاية لكونها اسم عَلَم فصارت "آيجيپتوس" Αίγηπτος التي اشتق منها اسم إيجيبت Egypt وقبط Copt.

وقد ذكرت منف باسم "نوف" في الكتاب المقدس ثماني مرات: اشعيا ١٩: ١٣، إرميا ٢: ١٦، ٤٤: ١، ٤٦: ١٤، حزقيال ٣٠: ١٣ و ١٦. وكتبت "موف" في هوشع ٩: ٦. ولكن تبعا للتراث الشفهي لا يوجد توكيد لمرور العائلة المقدسة بمدينة منف.

بعدها اتجهت العائلة المقدسة جنوبا لمصر الوسطى. ومن أكثر الأماكن تأكيدا في الرحلة مواقع المنيا وأسيوط. في الغالب استمرت العائلة المقدسة في التحرك تجاه الجنوب. حتى وصلوا **لاهناسيا_المدينة** بمحافظة بني سويف، وكانت عاصمة لمصر في عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة. وتعرف ب"نن نسو". ويتحدث المقريزي، المؤرخ الشهير من القرن الخامس عشر، عن نخلة باهناسيا المدينة أو هيراكليوبوليس ماجنا كما عرفت في العصور اليونانية والرومانية، ظلت مكانها حتى ٧٥٠ م. وأشيع أن تلك النخلة هي المذكورة بالقرآن الكريم أي التي ولدت عندها العذراء (سورة مريم ١٩: ٢٣ -٢٥). ولكن هذه القصة غير معقولة تاريخيا حيث أننا نعرف أن مولد المسيح كان في بيت لحم بفلسطين وليس بمصر.

تقع بلدة **إشنين النصارى** ١٢ كم جنوب غرب مركز مغاغة بمحافظة المنيا (٧٠ من شمال المنيا) وعلى الجانب الغربي للنيل. وتتبع البهنسا. وهناك تراث شفهي بالمنطقة يقول أن ماء البئر الذي يقع حوالي ٨٠ م شمال مبنى كنيسة مار جرجس، قد باركه المسيح أثناء رحلة العائلة المقدسة. وحسب رواية أخرى بالمنطقة هناك بئر تحت المعمودية في الجانب الجنوبي الغربي للكنيسة. وقد إهتم الناس بإشنين النصارى التي نالت بركة زيارة العائلة المقدسة، وأقاموا فيها عددا كبيرا من الكنائس والأديرة حتى قيل أنها كانت تحوي كنائس بعدد أيام السنة. وذكر المقريزي أن منطقة اشنين كان بها أكثر من ١٦٠ كنيسة خربت كلها ما عدا أربع كنائس، وذكر المقريزي سبع أسماء بيع قائمة ومخربة، منها دير السيدة العذراء في الشمال، وكنيسة الملاك ميخائيل وكنيسة مار جرجس وكنيسة القديس ماروطا. وتبعا لأبي المكارم كان هناك دير يعرف بدير إيسوس بإشنين النصارى. والكنيسة القائمة حاليا هي كنيسة مار جرجس وبها رفات القديس القمص ميخائيل البحيري وله معجزات تبعا للتراث الشفهي لأهل المنطقة.

تقع **البهنسا** على الجانب الغربي للنيل وتبعد حوالي ١٥ كم شمال غرب بني مزار. وكانت عاصمة الإقليم التاسع عشر من مصر العليا، واسمه "پر مدجد" ويكتب بالهيروغليفية على شكل

صولجانين. وفي العصر اليوناني الروماني عرفت باسم "أوكسيرينكوس" Oxyrrhynchus نسبة لنوع من أنواع الأسماك يعيش في المياه القريبة منها، وهي سمكة القنومة ذات الفم المدبب. يقول المقريزي أن الأقباط يقولون أن العائلة المقدسة مرت بالبهنسا. وهناك رواية من الجانب الإسلامي أن العائلة المقدسة قد قدمت للبهنسا على ظهر حمار. أما عن التراث الشفهي، فيقول محمد البقير (٦٧٦ -٧٣١ م) أن العذراء أخذت المسيح للمدرسة وسنه تسعة شهور. وبعد مناقشات مع المعلمة قالت لأمه أن تأخذه لأنه حكيم ولا يحتاج لمعلم. والرواية مشابهة تماما لما جاء في إنجيل توماس الإسرائيلي (١٤٠ -١٦٠ م). ويقال أن المسيح ساعد في الاستدلال على ما سرق من أحد علية القوم عن طريق شخص أعمى وآخر أعرج. ويعتقد النصارى في البهنسا أن العائلة المقدسة قد مكثت غرب ترعة بحر يوسف. وفي القرن الخامس كان هناك حوالي ١٠،٠٠٠ راهب وحوالي ٢٠،٠٠٠ راهبة بالبهنسا. وفي ١٨٩٧ اكتشف كل من ب. جرينڤيل وأ. س. هانت، مخطوط أقوال المسيح. وقد كتب المقريزي أنه سمع أن البهنسا كان بها ٣٦٠ كنيسة أو بيعة خربت كلها.١٧ وقد قال پالاديوس أسقف هيلينوبوليس في القرن الخامس، أن البهنسا كانت كأنها كنيسة أو دير واحد كبير. وكان عدد الراهبات أكثر من عدد الرهبان. وقد ازدهرت المدينة بين القرن الخامس والسابع. ويقول الأهالي أن شجرة بالبهنسا تعرف بشجرة العذراء مريم قد مرت بها العائلة المقدسة. وبسبب موقع البهنسا المميز على ترعة بحر يوسف وبعدها النسبي عن الفيضان، تم العثور على كنز هائل من البرديات. وكانت البرديات تستعمل أكثر من مرة لندرتها وصعوبة الحصول عليها وكان بها معلومات عن مواضيع دينية ودنيوية كعقود وتجارة ومعاملات وغيرها.

بحسب السنكسار الإثيوبي ذهبت العائلة المقدسة لبلدة **بي إيسوس** ΠHI IHC (phi IHS)(بيت إيسوس) حيث وضع المسيح، أو وضعت العذراء إصبع المسيح فوق البئر العميقة، فارتفعت المياه وشربوا منها. ومنذ ذلك الحين ظلت المياه ترتفع بالبئر بعد القداس لتبشر الناس بفيضان مرتفع حينما كان الفيضان يأتي ليغرق الأرض كل عام. ويقال أن المسيح أقام بئرا تشفي مياهها من كل مرض وألم، وهي **بدير الجرنوس** غرب مغاغة وشرق البهنسا، مركز بني مزار. والاسم نفسه مشتق من كلمة فرنسية هي الأرجينوس بمعنى الاستطلاع. ومعنى الكلمة مرتبط بدور بئر الاستطلاع، فهناك مقياس للنيل ممثلة في البئر المرتبط برحلة العائلة المقدسة. وكان الناس يتطلعون دوما لأن يتجاوز ستة عشر ١٦ ذراعا كل عام حتى لا يكون هناك جفاف أو نقص في الغذاء. ويضيف المقريزي أن البئر كانت بكنيسة دير أرجانوس، وأن الناس كانوا يتجمعون بالمكان في ليلة ٢٥ بشنس أي ٢ يونيو ليحركوا الحجر من فوق البئر ويروا ارتفاع الماء. وفي ١٧٠٣ م، قال القنصل العام الفرنسي م. دي مايه M. de Maillet أن هناك قرية يسميها العرب بير الجرنوس (مع العلم أن

اسم القرية الحالي هو دير الجرنوس أي الاستطلاع بالفرنسية المحرفة بالنطق المصري)، توجد بها بئر مقدسة يقيس فيها النصارى ارتفاع الفيضان بواسطة حبل ثم يقيم الأسقف الصلاة ويرفع البخور. وهنا نرى علاقة بين مقياس النيل والقداس حتى يأتي الفيضان مرتفعا ببركة الصلوات. ولكننا نعرف عن مقاييس أخرى للنيل في فيلة وإدفو وإسنا ولقصر ومنف وجزيرة الروضة عند القاهرة، وكثير منها مرتبط بدور عبادة قديمة في ربط واضح بين دور العبادة والأماكن المقدسة والمباركة، ومقاييس النيل.

وفي قول آخر أن بئرا شربت منها العائلة المقدسة، كانت تقع في الجانب الغربي بجنوب كنيسة العذراء المباركة ببلدة بير الجاموس، وقد بنيت عام ١٨٧٠ م. ويحتفل أهل المكان بمولد في ١٥ -١٦ مسرى (٢١ و ٢٢ أغسطس) ويشاع أن الهوام والمخلوقات الضارة لا تهاجم الناس أثناءه، كما يشرب الناس من ماء البئر. واسم الجرنوس هنا غالبا تحريف شعبي من كلمة أرجانوس الفرنسية التي تعني الاستطلاع، مثلما في ميدان الهيبودروم hippodrome أو حلبة السباق بوسط القاهرة (ميدان مصطفى كامل حاليا) الذي حرف باسم ميدان البدروم حيث يحول الأهالي الاسم بلغة يجهلوها لمعنى يفهمونه، وهي ظاهرة يعرفها علماء اللغات.

قرية **بردونة الأشراف** أو بردنوها، و تتبع مركز مطاي. وفقاً لميمر البابا تيموثاوس، ذهبت العائلة المقدسة إلى قلوسنا (قلوصنا أحيانا) ثم **طحا المدينة** في المصادر القديمة (أبو المكارم وهي مدينة طحا الأعمدة)، ثم إطسا، ثم عبرت منها إلى جبل الطير.فبالقرب من سينوبوليس القديمة، سافرت العائلة المقدسة على مركب جنوبا من قرية إطسا والتي تقع بجوارها قرية الشراينة. وهناك تقليد شفاهي غير متفق عليه علميًا أنها تسمت بهذا الاسم لوجود المرأة الشرانية (الشريرة) بهذا المكان، وهي الساحرة الواردة في ميمر الصخرة. وبعد ٣٥ كم جنوبا وصلوا إلى **جبل الطير** أو أكوريس في الضفة الشرقية المواجهة لسمالوط (سينوبوليس اليونانية الرومانية) والبَيهو، حوالي اثنين كم غرب معدية بني خالد. وكان جبل الطير يعرف أيضا بجبل الكف أو جبل الصخرة لوجود طبعة لكف المسيح به. يقال أن صخرة كبيرة بالجبل أوشكت على السقوط على مركب العائلة المقدسة، فسندها المسيح بيده الصغيرة وتركت اليد أثرا بقي لفترة طويلة بعدها، كما كتب عنها عدة زوار للمنطقة. ويقال أن الصخرة التي تحوي طبعة كف المسيح موجودة حاليا بالمتحف البريطاني بلندن تحت حراسة مشددة، وأن رسم زيارتها وحدها ٣٠ جنيه استرليني. وبني دير بمنطقة الصخرة يعرف بدير العذراء مريم، ولكن يطلق عليه اسم دير جبل الطير أو جبل الكف. كانت هناك لوحة على الباب تقول أن الكنيسة ترجع لعام ٣٢٨ م، ثم جددها الأنبا ساويروس أسقف المنطقة في ١٩٣٨ م. وهناك ١٦٦ درجة سلم تؤدي للكنيسة التي يقال أن الإمبراطورة هيلانا وابنها قسطنطين

أنشأوهما. ويوجد ميمر للبابا تيموثاؤس الثاني (٤٥٨ -٤٨٠ م)، البطريرك السادس والعشرون للكنيسة القبطية الأورثذكسية، يعرف بمخطوط موعظة كنيسة الصخرة. وكان هناك شق بالدير يسميه الأهالي "شق العدرا". وكان رفيعا لا يدخل منه الشخص السمين. وتقول م. نبيلة من سمالوط بالجانب الغربي أنهم أوسعوه مؤخرا ومازال الناس يذهبون ويقفون في طوابير لزيارته. ولكن يؤكد آخرون أن الشق كان إما لمرور طائر البوقيروس المهاجر ولذلك عرف الجبل بجبل الطير، أو لدحرجة السيدات العواقر في الشق كي يحملن. وأسلوب الدحرجة للسيدات أسلوب متبع في عدة مناطق أخرى بمصر، من ضمنهم ضريح السبع عذارى بالمنيا حيث يدحرجون السيدات العواقر غالبا. ويقول أ. رأفت شحاتة عزيز من أهالي المنطقة أنه سمع عن أم والدته نقلا عن جدتها أن زيارة جبل الطير كانت تتم بواسطة مراكب، ثم كان الزوار يمشون على خشبة عريضة لشيء كالسلة الكبيرة يرفعهم لأعلى كمصعد يدوي. وقد أكد آخرون هذه الرواية من ١٩٤٠. أ. مدحت حلمي تادرس من أسيوط يقول أن ميمر البابا تيموثاوس الثاني يهدم نظرية قيام الملكة هيلانة ببناء دير جبل الطير. ويقول أ. إسحق الباجوشي أن هناك رسالة دكتوراه عن دير العدرا جبل الطير قام بها رامز وديع بطرس. وهناك دراسة من فيفيان اسطفانوس وكريستين عادل عن التربية السياحية والبقايا التي أنشئت فيما بعد بالمكان وجبل الطير. وهناك مجلة جبل الصخرة. وسيقوم د. شنودة رزق الله بنشر دراسة قريبًا عن كشف بجبل الطير. وهناك أبحاث عن المنطقة أجراها د، أشرف صادق من ليموج فرنسا، ود. إسحق عجبان وأ. إسحاق الباجوشي وهو من خبراء المنيا في العصر القبطي، ومن أحدث الأبحاث بالمنطقة ما قدمته الباحثة الشابة مريم عز.

بعدها ارتحلت العائلة المقدسة جنوبا ل"منعت خوفو" بالمنيا ومعنى الاسم مرضعة خوفو، وكانت تعرف في المصادر القبطية بمنية بوفيس. ويعتبر اسم منعت خوفو من الأسباب التي دعت المؤرخين لأن يعتقدوا أن أصل الأسرة الرابعة بناة أهرام الجيزة، كان من منطقة الأشمونين. وذهبت العائلة المقدسة إلى مكان في قرية بقرقاص (أبو قرقاص؟)، وأنشئت هناك كنيسة باسم السيدة العذراء، وقد تهدمت وبني على أنقاضها مسجد وبجواره كنيسة الشهيد تاوضروس التي تحتوي على بئر أثرية يذكر أن العائلة المقدسة شربت منها. ثم عبر أفراد الرحلة للبر الشرقي للنيل. ويقال أن العائلة المقدسة مرت بالمعبد الحجري للإلهة اللبؤة باخت بمنطقة بني حسن أو منطقة "سبيوس أرتيميدوس"Speos Artimidos.

وهناك تقليد شعبي شفاهي أن العائلة المقدسة استراحت على كوم يدعى إلى اليوم **"كوم ماريا"** هو في منطقة دير أبو فانا بمحافظة المنيا، ويرتاده الناس كل عام ثلاث مرات، ثم صارت أربع مرات بالعام: الأولى في شهر طوبة في ذكرى قتل أطفال بيت لحم، والثانية في ٢٤ بشنس في ذكرى

دخول العائلة المقدسة أرض مصر، والثالثة في أحد الشعانين، والرابعة في عيد العذراء حالة الحديد. ويحتفل الأنبا ديميتريوس أسقف ملوي وأنصنا والأشمونين ورئيس ديري أبو فانا والبتول بملوي، بثلاث من تلك الاحتفالات حاليا.

وتعد **الأشمونين** بمحافظة المنيا، من أهم المحطات في رحلة العائلة المقدسة. فتكاد المراجع الأساسية كلها والميامر تجمع على مرور العائلة المقدسة بالأشمونين بالذات، ومنهم ميمر الباب ثاؤوفيلس البطريرك الثالث والعشرون، والأنبا زخارياس أسقف سخا، بالإضافة للمؤرخ سوزومين وغيرهم. وكانت الأشمونين عاصمة الإقليم الخامس عشر من مصر العليا أي الجنوب، ويأتي اسمها من "خمنو" التي تحولت ل"شمنو أو شموني". والاسم يعني العدد ثمانية باللغة المصرية القديمة. وذلك من أسطورة بداية الخليقة الخاصة بالأشمونين فتبعا للأسطورة أن أربعة أزواج من الآلهة بدأ منهم كل الكون، وهم الظلام الأبدي (كوك وكاوكت)، والماء الأزلي (نون ونونت)، والخفاء الأزلي (أمون وأمونت أو إيمن وإيمنت)، والأبدية (حاح وحاحت). وكان الآلهة الذكور على شكل ضفادع، أما الإلهات فكن على شكل حيات. وكانت الأشمونين جزءا من الإقليم الخامس عشر بمصر العليا الذي كان يعرف بإقليم الأرنبة أو "تا ونت". وكانت مدينة الأشمونين مركزا هاما في مصر القديمة وبها معبد للإله جحوتي، ومعبد أقامه الملك رمسيس الثاني. واشتهرت الأشمونين بتحطيم الأصنام عند مرور المسيح. وهناك تمثال كبير لقرد البابون وهو من رموز الإله جحوتي إله الحكمة والمعرفة بالإضافة لشكل طائر أبو منجل (أبو قردان) أو ال"أيبيس" ibis، يُعتقد أنه تحطم عند مرور المسيح وأمه. وهناك تشابهان هامان بين تواجد العائلة المقدسة في كل من تل بسطة بالشرقية والأشمونين بمصر الوسطى، وهما ما قيل عن تحطم الأصنام عند مرورهم، ولقاءهم بشخص طيب يدعى قلوم في المكانين قبل أن يضيفهم بمنزله.١٨ وتبعا لرؤيا البابا ثاؤوفيلس، كانت هناك أشكال لخيول على أربع جهات عند بوابات مدينة هرموبوليس ماجنا Hermopolis Magna أو الأشمونين، وتحطمت عند مرور العائلة المقدسة. أما كتاب النحلة فيقول أن تمثالين من المعدن على باب المدينة صاحا عند مرور المسيح أن ملكا عظيما قد جاء إلى مصر. أما إنجيل متى المزيف وهو من نصوص الأبوكريفا، فيقول أن العائلة المقدسة عندما مرت بالأشمونين واهتزت التماثيل الوثنية، أصر الحاكم أفرودوزياس أن يقدسوا جميعا الطفل وإلا أحاط بهم ما حل بفرعون موسى وجنوده من غرق في البحر. وخاف الملك لما سمع هذا وطلب من أهل المدينة أن يدخلوا عليه واحدا واحدا. ولما مرت العائلة المقدسة صاح التمثالان المعدنيان "هذا هو الملك". وخاف الملك وقرر أن يقتل المسيح. فنجد لازاروس الذي أقامه المسيح من الموت يتدخل فيعرض أن يموت بدلا من المسيح. ويقول السنكسار الإثيوبي أن العائلة المقدسة أقامت مع رجل يدعى أبلون Apelon، ويقول السنكسار القبطي أن اسم

المضيف كان طالون. وهناك شجرة في الأشمونين يقال أنها قدست خطى المسيح، فباركها وقال أنها لا يمكن أن يسكنها الدود أبدا ولمسها وقال أنها ستخلد ذكرى مروره بالمدينة. ويطلق سوزومن Sozomen المؤرخ البيزنطي على تلك الشجرة اسم شجرة البرساء. ويقال أن خمسة جمال مرت عند العائلة المقدسة وضيقت الشارع. فنظر إليها المسيح بعينه فإذا هي تتحول لحجر. وفي اليوم التالي يقال أن أعدادا غفيرة من المرضى جاءوا مع أسرهم، فكان المسيح يضع يده على كل منهم فيبرأ من مرضه. وتكلم أبو المكارم عن كنيسة العذراء بالأشمونين فقال أنها كانت تحتوي على عدة مذابح وأعمدة رخامية، ومذبح كانت تقام عليه كل الصلوات لأن طبعة كف المسيح كانت عليه. ويقال أن بازيليكا الأشمونين كان بها ٤٨ عامودا من الجرانيت وقواعدها وتيجانها من الحجر الجيري. ويقال أن شجرة سورية بقاكهة حمراء كانت أمام الكنيسة وعندما حاولوا أن يقطعوها وقت البطريرك التاسع والثلاثون البابا أغاثوس (٦٥٨ -٦٧٧ م) كان يقف تحت الشجرة، فطار الفأس وخبط وجه العامل. وبعدها لم يحاولوا أبدا قطع الشجرة. وتوجد أطلال بازيليكا الأشمونين التي أنشئت قرابة االقرن الخامس الميلادي بالمعبد القديم، كما توجد منطقة تدعى منطقة الأحراش في الجانب الشرقي لمدخل الأشمونين. ولازالت هذه المنطقة تحوي الكثير من الآثار كالحمامات الرومانية وبقايا ثلاثة حصون قد تكون مرتبطة بزيارة العائلة المقدسة.

وحوالي عشر كيلومترات للجنوب من الأشمونين يقال أن العائلة المقدسة قضت عدة أيام في مِنلوي أي **ملوي** الحالية. وتوجد عدة كنائس في ملوي منها اثنتان باسم العذراء مريم، وواحدة للقديس مرقوريوس وأخرى لمار جرجس. وذهبت العائلة لمكان به بئر بمركز ملوي يعرف ب "بير السحابة". ويقع البئر والنبع بين دير أبو حِنّس والشيخ عبادة أو أنصِنا Antinoopolis. وتبعًا للتراث الشفهي بالمنطقة وما يرويه الأهالي أن نبع ماء عذب تفجر ليرتوي منه أفراد العائلة المقدسة، وهو ما يعرف حاليا ب"بير السحابة". ومن المعروف بالمنطقة أنه بئر الماء العذب الوحيد في منطقة زاخرة بالآبار المالحة، ويبلغ عمقه حوالي ٢٥ م. ولارتباطه بالعائلة المقدسة اشتهر بأنه نبع مبارك، خاصة أن اسم بير السحابة مرتبط في الغالب بنص الكتاب المقدس، ففي سفر أشعياء ١٩:١: "وحي من جهة مصر. هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها". أما التراث الشفهي بالمنطقة فيقول أن اسم بير السحابة مرتبط بسحابة كانت تظلل العائلة المقدسة أثناء سيرها. وقد عرف المكان أيضا باسم "قبلة العوانس" حيث تأتي إليه الفتيات للزواج، والمتزوجات للإنجاب. وقد اعتادت الفتيات والسيدات أن يطفن حول البئر سبع مرات، ثم تدخل الفتاة أو السيدة في كشك خشبي لتستحم بماء البئر وتشرب سبع مرات أملا في تحقيق المراد. وكالعادة كلما ارتبط المكان بمعجزات شفائية وخاصة في الحمل والولادة، نرى أن عدد

المسلمين أيضا يكون كبيرا في زيارة المكان المبارك. وعادة تزوره السيدات العواقر يوم الجمعة أسبوعيًا. واعتاد الأهالي أن يأتوا بحيواناتهم المريضة أيضا لبير السحابة للاستشفاء.

{وبمركز ملوي أيضا دير البتول، كليوباتريس، ودير الملاك الريرمون.

وتوجد كنيسة بجبل أنصنا بجوار دير أبو حنس تعرف بكنيسة القديس قلته الطبيب، أو كنيسة يوحنا المعمدان، بها رسوم جدارية تمثل هيرودس جالسًا على العرش وقتل أطفال بيت لحم، وبشارة الملاك لزكريا، وبشارة الملاك للعذراء، وبقايا جدارية الهروب. ومفتاح تلك الكنيسة بيد المسئول عن دير البتول وتقام فيها الصلوات في منتصف الأسبوع (ليس في الأحد والجمعة) لأنه لا يوجد كاهن لهذه الكنيسة في الوقت الحالي.}

مركز دير مواس: تل العمارنة، آخت آتون. عاصمة أخناتون بالبر الشرقي للنيل في المنيا. قال أخناتون أنه يريد أن يقيم عاصمة في أرض بكر لم يعبد فيها إله من قبل. أخناتون أول من نادى بالتوحيد. وهناك تراث شفهي بالمكان عن زيارة العائلة المقدسة للمكان، لكنها من المواقع الغير مؤكدة.

وهناك تراث شفهي بقرية **دير البرشا** أمام ملوي، عن مرور العائلة المقدسة بالمكان. ويقام احتفال بمغارة العذراء شرق دير البرشا في ١٥ يوليو من كل عام في ذكرى عيد الأنبا بيشوي وليذكر الشعب مرور العائلة المقدسة. و"كهف العدرا" كما يطلق عليه أهل المنطقة، مغلق بباب حديدي وبه جدارية تمثل العذراء جالسة تغزل. ويحفظ مفتاح الكهف إما في دير البرشا أو دير أبو حنس. ويقال أن العائلة المقدسة عبرت النيل للبر الغربي إلى قرية الروضة التي تقع أمام اطلال أنطينوبوليس أي أنصنا أو الشيخ عبادة.

وبعد الأشمونين تابعت العائلة المقدسة السير جنوبا ليومين حتى وصل أفرادها إلى بلدة فيليس، فيلياس أو إيغوث Vilias, Eghoth بجوار **ديروط الشريف.** وتعرف أيضا بديروط أم نخلة لأن نخيلها انحنى لمرور العائلة المقدسة، وتعرف عند الأهالي أحيانا ب"دِروة النخل"، وعرفت أيضا بديروط أشمون أو أشموم. وربما يأتي اسمها من "تيروت سرابام" نسبة للأنبا صرابامون الذي استشهد فيها في ٣٠٤ م، وله دير أثري في المنطقة. أما اسم الشريف فقد ينسب إلى الشريف حِصن الدين ثعلب الجعدي، وكان يقطنها وبها ضياعه وأرضه. ويقال أن عين ماء فجرها المسيح تقع بالقرب من مسجد عمار بالمدينة. وتبعا للتراث الشفهي بالمنطقة تعتبر هذه العين والبئر هي التي أخرجها المسيح ويتبرك الناس بها. ويقال أن أهل المدينة أحسنوا استقبالهم وأن المسيح شفى أمراضا عديدة لأهل المدينة. واستضافهم نجار يدعى داينو كان يعرف يوسف النجار في القدس. وكان ابنه ممسوسا مسًا شيطانيًا، فيقال أن الشيطان الذي كان في ابن داينو عرف المسيح عندما رآه، وقال له أنا تركت

لك القدس كلها فأجدك هنا. فيقول التقليد أن المسيح طرد الشيطان من الفتى. ويقال أن كثيرا من أهل المدينة آمنوا به لمعجزاته.

وبعدها سافرت الأسرة، وفي الطريق مروا ببلدة كانوا يستعدون فيها لزفاف عروس لا تتكلم أو تسمع. فلما رأت العروس العذراء مدت ذراعيها لتحمل الطفل وانحلت عقدة لسانها وشفيت أذناها وغنت لمن شفاها. ثم وصلت الأسرة إلى قصي أو قسقام أي **القوصية** الحالية بأسيوط. ويقال أن العائلة المقدسة دخلت بلدة "جسو" عاصمة مقاطعة الجميز السفلى، وكان بها معبد كبير له معبود صنم تغطيه سبع غلالات. فلما دخل المسيح قطعت الغلالات، وصاح الشيطان يطلب من الكهنة أن يمسكوا بالمسيح وأمه وإلا لن يكون لهم بقاء في القرية. فطارد الكهنة وكان عددهم مائة، العائلة المقدسة وبأيديهم عصي وأسلحة. وهربت العائلة المقدسة من القوصية. ويقال أن المسيح إلتفت للقوصية ولعن القرية وأهلها، ويقال أنها غير القوصية الحالية.

وهناك مغارة ثانية محفورة في الصخر بزمام القوصية بالجبل الشرقي بمنطقة **قصير العمارنة**، وكان يطلق على المغارة اسم مغارة البقرة لوجود ماشية بالمكان، وصار عندها كنيسة العذراء الرومانية. ويقال أن العائلة المقدسة مكثت بهذا المكان.

بعدها ارتحلت العائلة مسافة صغيرة للجنوب، ثم ستة كيلومترات غربا إلى **مير**. تقع مير غرب القوصية وحوالي ٦٥ كم شمال غرب أسيوط، وكانت تعرف باسم ميرة أو ميريت. وهناك يقال أن المسيح قطع عصا يوسف النجار الخشبية إلى قطع صغيرة وزرعها في الأرض ورواها. وقيل أنه تركها لتصبح تذكارا لمروره هناك. وهذا شبيه بما قام به في المطرية حين قيل أن المسيح قطع عصا يوسف وسقاها من البئر التي فجرها، فنمت العصا في المطرية في صورة البلسان عطر الرائحة. ويقال أن المسيح بارك مير لأن أهلها أكرموهم، فصارت مضربا للأمثال في خصوبة أرضها. وبها عدد من المقابر الفرعونية لأشراف المنطقة في عصر الدولتين القديمة والوسطى وتشتهر بمناظرها الملونة التي تحوي مشاهد من الحياة اليومية. وقد عكف على دراسة المقابر فريق عمل أسترالي/مصري بقيادة الأثري المعروف نجيب قنواتي في التسعينات والألفينات، ودرسهم في الماضي سيد خشبة باشا حوالي ١٩١٠ م، والإنجليزي بلاكمان حوالي ١٩١٩ م.

بعدها إنتقلت العائلة المقدسة قليلا للتلال غرب مير في الغالب. وتبعا للتراث فقد لحق بهم اللصان اللذان كانا قد تبعاهما من تل بسطة بأقنعة على وجوههم وكان معهم سيوف وخناجر، وأخذوا ملابس الجميع. وحاول اللص المصري أن يثني زميله السوري اليهودي عن عزمه ويرد الملابس، إلا أن الآخر رفض بدعوى أنها ملابس غالية. فطالب اللص المصري بنصيبه من الملابس ورد نصيبه منها للعائلة المقدسة لما أبصر النور الذي يشع من وجوههم ورأى دموع العذراء. وبعد رحيلهما يقال أن

المسيح قال لأمه أن اللصان سيصلبان عن يمينه وعن شماله، وأن المصري الذي باركه المسيح بعلامة الصليب لرد نصيبه من ملابسهم، سيصلب عن يمينه، وسيؤمن به وهو على الصليب. وهناك رواية أخرى مفادها أن الشيطان قال لهيرودس أن قتله لكل أطفال القدس وبيت لحم كان بغير فائدة لأن المسيح وأمه في مصر. ونصح الشيطان هيرودس أن يرسل عشر جنود ليحضروهم من مصر. فسمع بهذا أحد أقارب يوسف النجار وهو من بني إسرائيل وكان يدعى موسى أو يوسي. وسافر لهم في مصر سريعا في ثلاثة أيام فقط لسفره في الليل أكثر من النهار، وحذرهم مما حدث. ونام وأسلم رأسه على حجر كان المسيح قد استحم فوقه وفاضت روحه، فدفنوه في هذا الموضع ليكون كالملاك الحارس للمنزل. ويقال أن أثناء العمل عند الباب القبلي لكنيسة العذراء بالدير المحرق بالقوسية بمحافظة أسيوط، تم العثور على جسد القديس يوسي الذي تقول بعض المراجع أنه كان إبن خالة المسيح وليس قريب يوسف النجار كما أشيع. ويقع في الجهة الغربية القبلية للكنيسة الأثرية بالدير. ويقال أن المسيح قال أن ذلك المنزل سيكون به رهبان كثيرون لن يستطيع أحد أن يؤذيهم لأن هذا المكان أواهم، وأن من تحضر إلى المسيح بنفس صافية طالبة أن ترزق بطفل سيتحقق غرضها. ويقال أن ذلك الموضع الآن هو الدير المحرق في **جبل قسقام** حوالي ١٢ كم غرب القوصية بسفح الجبل الغربي، وبه الكنيسة الوحيدة التي يقال أن المسيح كرسها. وأقامت العائلة المقدسة في هذا المكان أطول فترة قضتها في مكان واحد بمصر، وهو ستة شهور وعشرة أيام. وعليه ينطبق قول الكتاب المقدس في متى ٢٠:٢ وهو على لسان أشعياء "وفي ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر". وبقياس أرض مصر من الاسكندرية لأسوان، فذلك الموقع يقع في منتصف المسافة. ويقال أن ملاك الرب ظهر ليوسف النجار في جبل قسقام أو "قوس قام" كما كتبت في المراجع القديمة، وقد تعني "مدفن الحلفاء". أما كنيسة العذراء مريم بدير المحرق فيقول الأقباط أنها هي أقدم كنيسة في مصر وبنيت حوالي ٦٠ م عند حضور القديس مرقس كاروز الديار المصرية. ولكن البناء الحالي لأغلب مباني الدير من القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي، وإن كان الدير القديم من وقت الأنبا باخوم حوالي القرن الرابع الميلادي. ويعتبر الدير المحرق من أقدس الأماكن عند الأقباط، بل ويحجون إليه كأنه بمثابة القدس الثانية، لذا نجد أن أسوار وبوابات الدير تحاكي بوابات أورشليم أو بيت المقدس. وتعد معجزة ظهور العذراء هناك من الأشياء التي تزيد من قدسية المكان بالنسبة للأقباط. فقد ظهرت للبابا ثاؤوفيلس البطريرك ٢٣ للكنيسة القبطية الأورثذكسية في الدير المحرق تقريبا في أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس الميلادي. وكان البابا ثاؤوفيلس قد صلى ليعرف أين يقيم بيعة للعذراء بالدير، فظهرت له العذراء في رؤيا وأبلغته أن المسيح قد كرس بيعة بهذا المكان بيده. ويقرأ ميمره في السادس من هاتور وهو يوم عيد ظهور العذراء بالدير المحرق. وقصت

العذراء على البابا ثاؤوفيلس أيضا تفاصيل رحلة العائلة المقدسة لمصر التي أوردها في ميمره الشهير. وظهرت العذراء أيضًا للأنبا غبريال في ١٣٩٦ م، إذ كان البابا متاؤس البابا السابع والثمانون، قد رسمه أسقفاً على القوصية. ودعى رئيس الدير الأنبا غبريال ليحضر صلوات أسبوع الآلام معهم. فأقام منذ يوم الإثنين في حجرة يطلقون عليها اسم المقصورة كان بها أيقونة للعذراء كانت قد أهديت للدير. وفي يوم خميس العهد ألح عليه رئيس الدير الأب ميخائيل ليترأس الصلاة لكنه رفض، لكن ظهرت له العذراء بالمقصورة وأشارت له أن يوافق. فلما ذهب لصلاة خميس العهد بالرهبان، ظهرت العذراء مرة أخرى ورآها من كانوا بالكنيسة آنذاك. بعدها ظهرت له وللرهبان مرة أخرى أثناء صلاة عيد القيامة وأشارت له أنها ستأخذه معها. وبالفعل توفى الأنبا غبريال في اليوم التالي ودفن في مقبرة خاصة في مدخل الدير.

درنكه

ويعتقد أن هذا الموقع آخر محطات العائلة المقدسة في مصر، مع العلم أنه لم يرد في أي من الميامر القديمة. يقال أن العائلة المقدسة ارتحلت لقرية جنوب جبل قسقام. ويقول البعض أن مرسى (الحمراء) هناك كان المكان الذي ارتحلوا منه في نهاية الفترة التي قضوها بمصر. تقع المغارة الشهيرة التي يعتقد أن العائلة المقدسة أقامت بها لفترة، في جبل أسيوط الغربي بمنطقة درنكه أو "أدرنكه" كما كانت تسمى. ويعتقد بعض الباحثون أنهم أخذوا مركبا للعودة من عند منطقة درنكة. وقد أدت الظهورات المتكررة للنور في المغارة لاعتقاد الناس أن العائلة المقدسة قد مرت بهذا المكان. يقع الدير الحالي باسم العذراء مريم بارتفاع حوالي مائة متر من سطح الأرض الزراعية. ويقال أن العائلة المقدسة حلت بالدير في شهر أغسطس، فيحتفل الدير باحتفالات سنوية من ٧ -٢١ أغسطس كل عام. وتوجد عدة كنائس بالدير، أقدمها وأهمها كنيسة المغارة وطول واجهتها حوالي ١٦٠ م وعمقها حوالي ستون متر. وقد عرف هذا المكان بمعجزات ظهور نور بالمغارة وظهور للعذراء فوق الدير صوره علماء وكالة الفضاء الأمريكية ناسا NASAذ بمعدات خاصة.

ويقال أن ملاك الرب جاء ليوسف النجار ليحثه على الرجوع في درنكة عوضا عن جبل قسقامم خاصة لانبعاث نور في المغارة في عام ٢٠٠٠ م وفي أوقات أخرى، وإن كان كلاهما بمحافظة أسيوط وعلى مقربة من بعضهما.

طريق العودة:

في الغالب سلكت العائلة المقدسة نفس طريق العودة باختلافات طفيفة. فبعد أن جاء الملاك ليوسف النجار ليبشره بإمكانية العودة لموت من كانوا يريدون موته (متى ٢٠:٢)، عادت العائلة المقدسة من القوصية لهرموبوليس ماجنا أو الأشمونين حيث يقول البابا ثاؤوفيلوس في ميمره عن

الرحلة، أن أهل المدينة استقبلوهم بفرح عظيم وترحاب. {وبالنسبة للمغارة أسفل كنيسة أبو سرجة في مصر القديمة، فقد كانت على خريطة زيارات الحجاج بالقرون الوسطى على أقل تقدير، مثال ما كتبه جون بولونرJohn Poloner (١٤٢١ م)، الذي خرج من طريقه واستمات ليزور المغارة. وكانت مياه النيل تملأ مغارة أبو سرجة بمصر القديمة وقت الفيضان، وكانت تعتبر مياها مقدسة لأنها تباركت بوجود العائلة المقدسة في ذلك المكان. وذكر المقريزي عودتهم عن طريق قصر الشمع وكنيسة أبو سرجة بمصر القديمة. وبالإضافة للسنكسار، هناك روايات منها ما قاله أنطوناينوس الشهيد، وكان حاجا من بلاسنتيا Placentia في القرن السادس (حوالي ٥٦٠ -٥٧٠ م)، ويقول أنه رأى معبدا بمنف به صورة لوجه المسيح مطبوعا على منشفة من الكتان. وتشبه هذه الرواية ما قيل عن انطباع وجه المسيح على منشفة وإرسالها لأبجار الخامس ملك الرُّها.}

واستمرت العائلة المقدسة في السفر شمالا مرورا بعين شمس، المطرية وشجرة مريم والمحمَّة أي مسطرد. وتبعا للسنكسار ظهر مصدر مائي بالمنطقة تبركا بالزيارة، فنجد بئر ماء أسفل الجانب الشمالي الشرقي للكنيسة يقال أن العائلة المقدسة باركته. وهناك درجان من الشرق والغرب يؤديان للمغارة حيث يتم الاحتفال بالمولد السنوي للمكان من حوالي ٧ -٢٢ أغسطس. ومن المحمه إتجهت العائلة المقدسة إلى ليونتوبوليس أو تل اليهودية. وهناك تراث شفهي يتناقله أقباط شبين القناطر حوالي اثنين كم شمال غرب ليونتوبوليس، بخصوص مرور العائلة المقدسة بموقع بلدتهم. بعد هذا مروا ببلبيس، ووادي الطميلات والقنطرة. ويقال أنهم مكثوا بضعة أيام بالقرب من غزة.

ظهور العذراء:

لطالما استشعر المصريون أن العذراء تشعر بهم وأن هناك ألفة ومحبة بينها وبينهم، بدليل تكرار ظهورها في عدة أماكن بمصر في أوقات مختلفة. فيقال أن العذراء ذهبت لوالي مصر وقت الخليفة العباسي المأمون (تولى الخلافة من حوالي ٨١٤ -٨٣٣ م)، بخطاب مختوم من الخليفة المأمون نفسه، يأمره بوقف هدم كنيسة العذراء بأتريب، وذلك بناء على صلوات كاهن الكنيسة. وظهرت للبابا ثاؤوفيلس البطريرك الثالث والعشرون للكنيسة القبطية الأورثذكسية (٣٨٥ -٤١٢ م) بجبل قسقام عند الدير المحرق، وقصت على البابا تفاصيل الزيارة لمصر بحسب ميمره الشهير عن الزيارة. وظهرت العذراء في الكنيسة المعلقة بمصر القديمة للبطريرك القبطي الثاني والستين على كرسي القديس مرقس، وهو البابا أبرآم بن زرعة (٩٧٥ -٩٧٩ م)، وذلك قبل حدوث معجزة الزلزال الذي حرك جبل المقطم. وظهرت للمصلين بجبل قسقام بالدير المحرق يوم خميس العهد عام ١٣٩٦ م. ورآها الحضور أيضا يوم عيد القيامة وقيل أنها أومأت للأنبا غبريال أسقف مدينة القوصية (١٣٧٨ - ١٤٠٨ م)، وتوفي في اليوم التالي ففهموا أن العذراء وعدت بأخذه معها. والأنبا غبريال مدفون في مقبرة

خاصة عند مدخل الدير المحرق لأن ظهور العذراء هناك في المرتين كان مرتبطا به بحسب الأقوال. ومن أشهر ظهورات العذراء تجليها بالزيتون فوق قبة الكنيسة الصغيرة المسماة على اسمها في الثامنة والنصف مساء الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨ م. وتكرر ظهورها في نفس الموضع بالزيتون في ذلك العام، منها فجر الأحد ٥ مايو ١٩٦٨، ويوم ٢٤ بشنس الموافق ١ يونيو ١٩٦٨، وهو عيد دخول العائلة المقدسة لمصر، ويوم ١٦ مارس ١٩٦٩. ويقال أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد رآها ومعه بعض كبار رجال الدولة. واهتمت الدولة بالمنطقة المحيطة بالكنيسة، خاصة أن آلاف الأشخاص كانوا يفدون للمنطقة في انتظار ظهور العذراء. وأزيل الجراج الكبير لهيئة النقل العام بالمنطقة والآن توجد كنيسة من أضخم الكنائس بالشرق الأوسط للعذراء مريم في موضع الجراج وأمام الكنيسة الصغيرة التي تجلت فوقها العذراء بمنطقة الزيتون.

ويقال أن العذراء ظهرت ظهورا كاملا فوق القبة الوسطى لكنيسة العذراء بالوراق يوم الجمعة ٢٠٠٩/١٢/١١ م من الواحدة للرابعة صباحا. وقيل أنها كانت ترتدي ثوبا أبيض ناصع بحزام أزرق ملوكي، وتاج يعلوه صليب القبة. ويقول أهل منطقة الوراق أن حماما أبيض كان يظهر في الأيام التي تلت هذا الظهور من الثانية عشرة صباحا حتى الفجر. وحكوا عن نجم مضيء يظهر ويختفي عند الكنيسة.

آبار وعيون ماء ارتبطت برحلة العائلة المقدسة:

بئر العذراء للروم الأرثوذكس ببيت لحم، رفح والفرما، تل بسطة، المحمة، دقادوس، سمنود، نبع مريم بوادي النطرون وعين الحمرا، بئر البلسان بالمطرية، كنيسة العدرا (نطق المصريين للعذراء) العزباوية بالقاهرة حيث يوجد بئر جوار الكنيسة، كنيسة العدرا حارة زويلة، حارة الروم السفلى، كنيسة العدرا المغيثة، دير مار جرجس للراهبات بمصر القديمة، كنيسة أبو سرجة (بئر بكنيسة الروم الأرثوذكس بمصر القديمة مار جرجس)، بئر السحابة في أنصنا، وفي ديروط أم نخلة، بئر إيسوس بدير الجرنوس وكان به مقياس للنيل، كنيسة مار جرجس بإشنين النصارى، بئر بجوار كنيسة العدرا الأثرية بالدير المحرق (يقال أنه تحول لنبيذ في ١١٧٥ م).

تحليل:

بالنسبة للأثري أو المؤرخ، يمكن أن نستقي من المصادر ما يمكن أن يتم وزنه لمعرفة ثقله. فمثلا، حيث أن الكتاب المقدس تناول الموضوع وأشار لرحلة العائلة المقدسة لمصر. يمكن أن نبدأ من منطلق أنهم جاءوا لمصر بالفعل فرارا من هيرودس. وتعتبر الآبار وعيون الماء والأحجار التي تحمل طبعات قدم أو كف المسيح من علامات الرحلة، بالإضافة لما قيل عن إقامة كنائس وأديرة بكل المناطق التي مرت بها العائلة المقدسة، وتعد هذه الأشياء من الآثار التي تدل على مرور العائلة المقدسة. وقد

بنيت أغلب المراجع على تراث شفهي هام يسبق تدوين التاريخ، إما من الشعب، أو كرؤيا مثل رؤيا البابا ثاؤوفيلس التي قصت عليه العذراء مسار الرحلة.

بالنسبة لوزن المعلومات، هناك بعض التكرار، خاصة في الحالات التي اهتزت فيها أصنام مصر أو تحطمت. فهنا نجدنا غير متأكدين إن كان هذا قد تم في موقع أو أكثر. تشير المصادر إلى تحطيم أصنام في كل من تل بسطة بالشرقية والأشمونين بالمنيا. وهناك عدة إشارات خاصة بزلزلة أو تحطيم أصنام. فيمكن أن نقول أنه حدث، لكن هناك أقاويل أخرى كأن تصرخ أحصنة معدنية وتقول "هاهو ذا الملك" فهذا يمكن أن يكون من إضافات وتطعيمات يضعها الناس وهي من أدوات صنع الأسطورة من الحدث التاريخي. أو أن نرى الشيطان نفسه بحسب الأساطير يحدث الأعداء تحديثا كأنه تجسد، ويحدث المسيح قائلا أنه ترك له البلد كلها وجاء لمصر ليجده هناك. في الغالب يوسوس الشيطان ولا يتحدث للناس جهرة، فقد تكون هذه من أدوات صنع الأسطورة بإضافة أشياء للقصة الأساسية.

وهناك بعض أشياء ضمن التراث الشفهي تتعارض مع شخصية المسيح كما تجلت في مواقف عديدة. فنجده يلتفت ليلعن القوصية. ونجده ينظر لخمس جمال زاحمتهم في الطريق فيحولهم لحجر. أما العذراء ففي قصة نمو البطيخ السريع، يقال أن العذراء قالت للفلاح أن يجيب الجنود أنهم مروا عليه عندما كان يزرع بذر البطيخ. فلما رأوا البطيخ قد نما إعتقد الجنود أنهم مروا من عدة شهور. واعترض بعض الآباء الرهبان أن العذراء لا يمكن أن تكذب أبدا حتى بشكل غير مباشر.

ومن ضمن التراث الخاص بالرحلة أن العائلة المقدسة اختبأت في شجرة مجوفة وعشش العنكبوت على مدخل التجويف ليحميهم. ونجد قصة شبيهة في التراث الإسلامي عندما عشش العنكبوت على مدخل المغارة التي اختبأ بها سيدنا محمد صلعم ورفيقه أبو بكر أثناء فرارهم.

ختام:

كان قدوم العائلة المقدسة لمصر بركة كبيرة حلت على هذا البلد الذي كلم الله فيه موسى النبي والذي مر به الأنبياء والصالحين. بركة استمرت في صورة ينابيع الماء العذب والآبار والأرض الخصبة، وفي سلامة مصر من كل إثم. وتوالت ظهورات العذراء بمصر وكأنها تؤكد للمصريين أنها معهم تشد من أزرهم وتشعر بهم. وقد أكد بابا الفاتيكان تعاطفه مع المصريين بشكل عملي، إذ أصر أن يحضر إلى مصر بالرغم من حادث أليم وعملية إرهابية كان المقصود بها غالبا أن يقوم بابا روما بإلغاء زيارته المرتقبة لمصر. إلا أنه أبى أن يستجيب لهذا وأعلن للعالم أن البلد الذي احتمى فيه المسيح وأسرته لهو أمان ليوم الدين، وأنه سيأتي إليه آمنا مطمئنا. فكانت تلك ضربة

قاضية للحاقدين والمفسدين. ثم جاءت زيارته لشيخ الأزهر واحتضانه لشيخ الأزهر بقوة أكدت للعالم تمسك البابا بكل ما يمت لمصر بصلة، وأكدت للعالم أن مصر كانت وستظل هي وأهلها كما قال سيدنا محمد رسول الله، في رباط إلى يوم الدين.

في النهاية يمكن أن نقول أن رحلة العائلة المقدسة لمصر والاعتراف بها كمكان للحج المسيحي، من المنتظر أن تنعش السياحة الدينية في السنوات القادمة. وعلى الرغم من أن رحلة العائلة المقدسة لم تترك لنا آثارا كثيرة ملموسة واضحة وموثقة، إلا أن التراث الشفهي الخاص بالرحلة تراث عظيم لا يمكن أن نهمله، خاصة في بلد مثل مصر تعد الأقاويل وما يتوارثه الناس حتى من أسماء أماكن، كلها ذات أهمية عظيمة. فمثلا نجد أن المصريين كانوا يتحدثون عن ملك يدعى مينا (موحد القطرين) قام بتوحيد قطري مصر في بداية الأسرات أي حوالي ٣٠٠٠ ق.م. وظل اسم مينا قائما حتى بعد دخول المسيحية حيث كان اسما لأحد أهم قديسي الكنيسة القبطية الأورثذكسية وهو مار مينا العجايبي نظرا لمعجزاته الشفائية تحديدا. ورغم أننا لم نجد مقبرة أو أثر كبير باسم ملك يدعى مينا، لكننا وجدنا بعض قطع صغيرة مثل سدادات أواني تحمل اسم "مني"، وهو قريب الشبه من مينا، في مناطق بها آثار تخص الأسرة الأولى. ومازال المصريون يصرون على أن موحد القطرين تبعا لما توارثوه من آبائهم، يطلق عليه مينا. ولفظة "من" أو "مني" باللغة المصرية القديمة تعنى الاستقرار والتأسيس. وغالبا ما ستثبت الحفائر صحة هذا الاعتقاد وسيتضح أن مينا هو فعلا من وحد قطري مصر في بداية الأسرات المصرية القديمة. وهناك أمثلة كثيرة أخرى لأشياء تناقلها الناس واتضح أن بها أساس من الصحة، بدليل تمسك المصريون باسم مصر لبلدهم الذي اتضح أنه من أقدم الأسماء التي عرفت بها مصر، وهو باللغة المصرية القديمة "مشر" أو "مچر" بجيم معطشة، وتعني المحصنة أو المكنونة. كما أن اسم مصر في التوراه، أقدم الكتب الدينية بالديانة الإبراهيمية، كان مصرايم. وهناك أيضا تقاليد أو عادات كالسبوع الذي اتضح أن عادات الاحتفال به ترجع للعصر الفرعوني، بدليل العثور على شقفة من الحجر من الدولة القديمة، غالبا من الأسرة السادسة، عليها منظر يمثل إمرأة تحمل رضيعا في شيء مستدير كالغربال وقد كتب تحته "يوم الطفل". وهذا يؤكد أن هناك تراث هائل يشمل اللغة والعادات والتقاليد والتاريخ وتدوين الأحداث تناقله الناس. ولكن هناك أيضا شيء لا يمكن أن نغفله، هو العامل البشري الذي قد يحدث عليه لبس. فقد يروى أن أحداثا جرت في منطقة يتضح بعدها أنها جرت في مكان آخر مثلا. وهناك أيضا عادة صنع الأساطير بإضافة أشياء للقصة الأصلية، وهو شيء يدركه المؤرخون، بمعنى أن يضيف الشخص أحداثا وأقوالا للحدث التاريخي الأصلي لذلك تكون هناك عدة روايات قريبة من القصة الأصلية، ولكن ببعض التغييرات. والملاحظ أن القصص تتخذ شكل سير القديسين في الصياغة.

ولكن في غياب مصادر مادية موثقة كافية لا بد من الاعتمادعلى التراث الشفهي الهام جدا الذي يتناقله الناس حتى يصل بعد فترات قد تطول كثيرا، للتدوين. وعندما يدون يظل محتفظا بشكله القصصي الأصلي الذي كان يروى به.

ومن خصائص رحلة العائلة المقدسة إنتشار فكرة عين الماء أو البئر التي شربت منها العائلة المقدسة فباركتها وظلت كمصدر استشفاء وعلاج. وهناك أكثر من بئر وعين ماء ارتبطوا بالعائلة المقدسة. وهناك أيضا طبعات لأثر قدم أو كف المسيح. وهناك روايات مختلفة عن قطع المسيح لعصا يوسف النجار وزرعها بشكل متكرر في المطرية ومير بأسيوط. وقد يكون هذا التكرار ناتج بالفعل من تكرار الحدث، أو قد يكون هناك لبس في الأحداث التي حدثت في مكان فيقولون أنها حدثت في مكان آخر. وهناك أيضا معجزات خاصة بتأثر المعابد في المناطق التي مرت بها العائلة المقدسة. ويوجد تراث عن معجزات قاموا بها بالبلاد، منها معجزات شفائية ونباتات تزدهر في أماكن الزيارة، ونباتات تنمو بسرعة شديدة كما في حالة البطيخ الذي نما بسرعة فائقة، وأنوار أو تجليات للعذراء مريم في أماكن الزيارة. ثم أن هناك دائما شعور من المصريين أن العذراء لا تنساهم وتأتي لتراهم خاصة في أوقات الشدائد لأنها لم تنس رحلتها لمصر التي أتت إليها يوما ما. لهذا السبب ارتبط المصريون كلهم على اختلاف دياناتهم بالعذراء وكانوا يشعرون بصلة خاصة جدا بينهم وبينها لدرجة جعلنهم يطلقون اسمها على أغلب الأشجار والآبار والكهوف التي مرت بها العائلة المقدسة، بالإضافة لإطلاق اسمها على أغلب الكنائس والأديرة في مصر.

وعند باب زويلة بنيت كنيسة للعذراء بها بئر للعذراء وعيد كبير يوم ٢٠ يونيو. ثم اتجهوا لأبواب بابليون أو مصر القديمة. ويقال أن العائلة المقدسة ذهبت من مصر القديمة للمعادي عن طريق النيل. وركبت العائلة المقدسة بعدها مركبا وأبحروا جنوبا. فبدأوا بمنف نواحي الجيزة، ثم البهنسا ودير الجرنوس قرب مغاغة، وجبل الطير، ثم الأشمونين، ثم ديروط بأسيوط فالقوصية ودير المحرق عند جبل قسقام. ٦ أشهر و١٠ أيام وبنوا فيها أول كنيسة بالعالم. ثم جبل درنكه حيث ربما ظهر الملاك ليوسف النجار.

أما الرجوع فمن القوصية للمعادي وحصن بابليون ثم شمالا لمسطرد ثم بلبيس ثم القنطرة ثم فلسطين مرورا بغزة، واستقروا بالناصرة. وكل الأماكن التي توقفوا بها أقيمت بها أديرة أو كنائس.

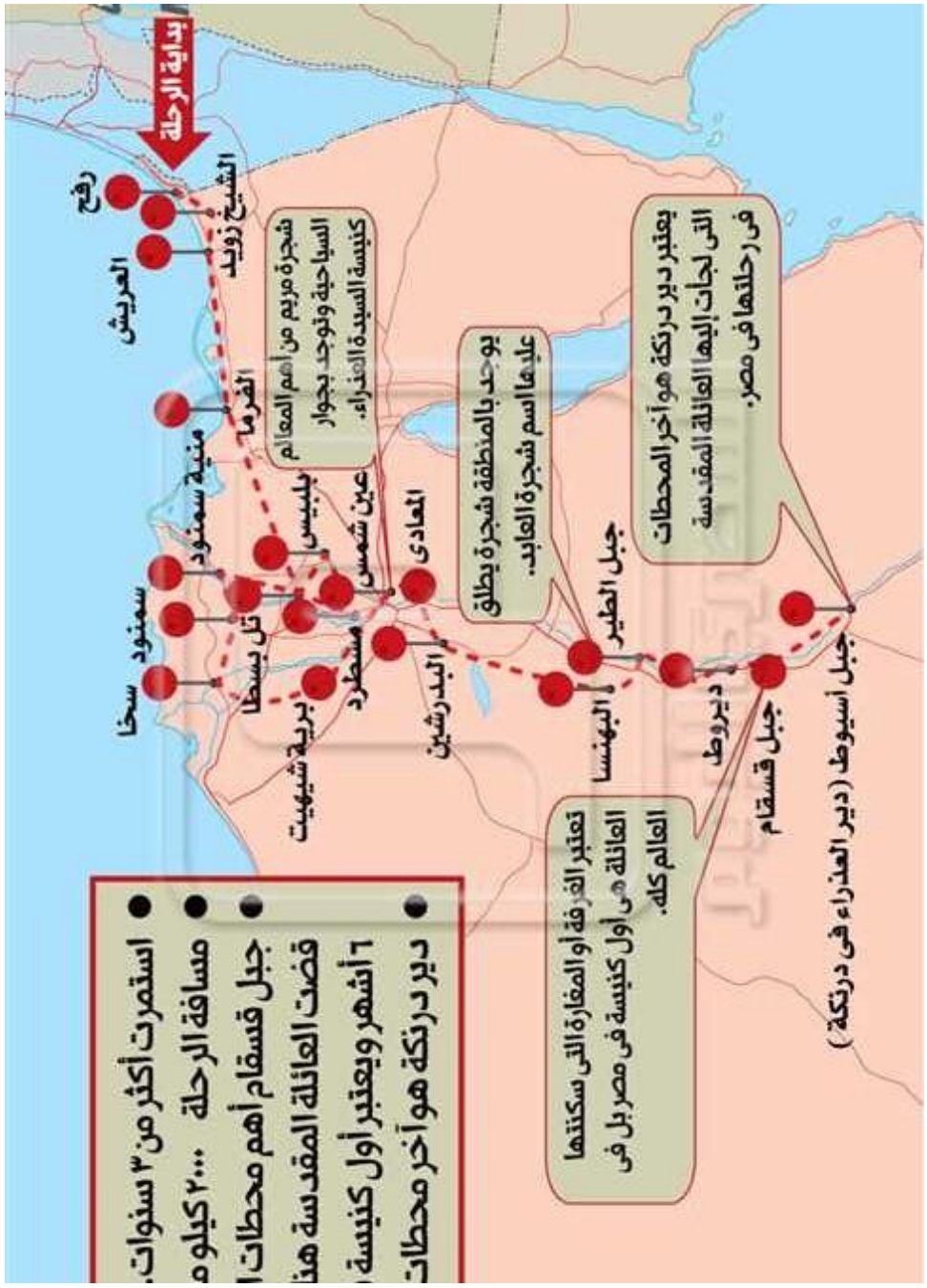
بداية الرحلة
رفح
العريش
الشيخ زويد
الفرما
منية سمنود
سمنود
سخا
تل بسطا
بلبيس
برية شيهيت
مسطرد
عين شمس
المعادى
البدرشين
شجرة مريم من أهم المعالم السياحية وتوجد بجوار كنيسة السيدة العذراء.
يوجد بالمنطقة شجرة يطلق عليها اسم شجرة العابد.
جبل الطير
البهنسا
ديروط
جبل قسقام
جبل أسيوط (دير العذراء فى درنكة)
تعتبر الغرفة أو المغارة التى سكنتها العائلة هى أول كنيسة فى مصر بل فى العالم كله.
يعتبر دير درنكة هو آخر المحطات التى لجأت إليها العائلة المقدسة فى رحلتها فى مصر.
استمرت أكثر من ٣ سنوات.
مسافة الرحلة ٢٠٠٠ كيلو م
جبل قسقام أهم محطات
قضت العائلة المقدسة هنا
٦ أشهر ويعتبر أول كنيسة
دير درنكة هو آخر محطات

١ أستاذ الآثار المصرية كلية الآداب، جامعة المنصورة

[٢] كتاب السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين المستعمل في كنائس الكرازة المرقسية في أيام وآحاد السنة التوتية، ج. ٢، وضع الأنبا بطرس الجميل أسقف مليج ومجموعة من الآباء (القاهرة: مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة، ٢٠٠٧ م)، ص. ١٩٥-١٩٦.

الجزء الخاص برحلة العائلة المقدسة بالسنكسار المصري:

"١- في مثل هذا اليوم المبارك أتى سيدنا يسوع المسيح إلى أرض مصر وهو طفل ابن سنتين، كما يذكر الإنجيل المقدس أن ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلا: "قم وخذ الصبي وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه" (مت ٢ :١٣) وكان ذلك لسببين أحدهما: لئلا إذا وقع في يد هيرودس ولم يقدر على قتله فيظن أن جسده خيال والسبب الثاني ليبارك أهل مصر بوجوده بينهم فتتم النبوءة القائلة: "من مصر دعوت ابني" (هو ١١: ١) وتتم أيضا النبوءة القائلة "هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة، وقادم إلى مصر، فترتجف أمطار مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها" (إش ١٩: ١). ويقال إن أوثان مصر انكفأت عندما حل بها كلمة الله المتجسد. كما انكفأ داجون أمام تابوت العهد (١ صم ٥: ٣).

فأتى السيد المسيح له المجد مع يوسف ووالدته العذراء وسالومي، وكان مرورهم أولا بضيعة تسمى بسطة وهناك شربوا من عين ماء فصار ماؤها شافيا لكل مرض ومن هناك ذهبوا إلى منية سمنود وعبروا النهر إلى الجهة الغربية. وقد حدث في تلك الجهة أن وضع السيد المسيح قدمه على حجر فظهر فيه أثر قدمه فسمي المكان الذي فيه الحجر بالقبطي "بيخا ايسوس" أي (كعب يسوع) ومن هناك اجتازوا غربا مقابل وادي النطرون فباركته السيدة لعلمها بما سيقام فيه من الأديرة المسيحية ثم انتهوا إلى الأشمونين وأقاموا هناك أياما قليلة. ثم قصدوا جبل قسقام. وفي المكان الذي حلوا فيه من هذا الجبل شيد دير السيدة العذراء وهو المعروف بدير المحرق.

ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم أيضا قائلا "قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي" (مت ٢: ٢٠ و ٢١).

فعادوا إلى مصر ونزلوا في المغارة التي هي اليوم بكنيسة أبي سرجة بمصر القديمة ثم اجتازوا المطرية واغتسلوا هناك من عين ماء فصارت مباركة ومقدسة من تلك الساعة. ونمت بقربها شجرة بلسم وهي التي من دهنها يصنع الميرون المقدس لتكريس الكنائس وأوانيها ومن هناك سارت العائلة المقدسة إلى المحمة (مسطرد) ثم إلى أرض إسرائيل فيجب علينا أن نعيد في هذا اليوم عيدا روحيا فرحين مسرورين. لأن مخلصنا قد شرف أرضنا في مثل هذا اليوم المبارك فالمجد لاسمه القدوس إلى الأبد آمين."

إنتهى جزء السنكسار من ٢٤ بشنس الخاص برحلة العائلة المقدسة إلى مصر.

[٣] Otto F. A. Meinardus, *The Holy Family in Egypt* (Cairo: The American University in Cairo Press, 1986), p. 31.

[٤] تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (٧٦٦-٨٤٥ ه)، *المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار*، المجلد الرابع الجزء الثاني، قابله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ٢٠١٣)، ص. ١٠٨٥.

[٥] Otto Meniardus, *The Holy Family in Egypt*, p. 33.

[٦] فكري رمزي زكري، ٢٠٠٠ *عام على مجيء العائلة المقدسة إلي مصر (الرحلة المعجزات الآثار)* (القاهرة: أوغسطينوس لخدمات الطباعة، ١٩٩٩)، ص. ٤٥.

[٧] فكري رمزي زكري، ٢٠٠٠ *عام على مجيء العائلة المقدسة إلي مصر (الرحلة المعجزات الآثار)* (القاهرة: أوغسطينوس لخدمات الطباعة، ١٩٩٩)، ص. ٤٧. تبعًا للأنبا أغريغوريوس، *الدير المحرق وصفه وكل مشتملاته* (القاهرة، ١٩٦٩)، ص. ٥٧-٥٨، والقس أبانوب لويس، *حياة ومعجزات الفتى الشهيد أبانوب النهيسي* (سمنود: مكتبة كنيسة السيدة العذراء والشهيد أبانوب، ١٩٨٩)، ص. ٩٣.

[٨] تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (٧٦٦-٨٤٥ ه)، *المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار*، المجلد الرابع الجزء الثاني، قابله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ٢٠١٣)، ص. ١٠٨٥.

[٩] المقريزي، *المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار*، المجلد الرابع الجزء الثاني، قابله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد، ص. ١٠٨٥.

[١٠] تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المجلد الرابع الجزء الثاني، قابله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد، ص. ١٠٤٩.

[١١] يعتبر العارف بالله إبراهيم الدسوقي (عاش بين ٦٥٣ هـ/١٢٥٥ م و٦٩٦ هـ و١٢٩٦ م) من الولاة الأربعة للصوفية. ولقب أيضًا ببرهان الدين وأبي (أبو) العينين. ويعتبر لقب العارف بالله من ألقاب المتصوفين.

[١٢] بالإضافة لبرية شيهيت، توجد بمحافظة البحيرة مناطق أخرى رهبانية هامة للغاية هما منطقتا نيتريا وكيليا التي يأتي اسمها من اسم قلاية فكانت تعرف بمنطقة القلالي أو المنشوبيات. أما كلمة نيتريا فربما اشتقت من الكلمة المصرية القديمة "نثر" أو "نتر" بمعنى إله (نوتى في القبطية) فقد تعني رباني أو إلهي. تعتبر أقدمهم نيتريا، تليها كيليا ثم الاسقيط أو برية شيهيت. وكان الأب أمون أول من استوطن بمنطقة نيتريا بين ٣٣٠/٣٢٥ م (ويقال من ٣١٥ م). إزدهرت هذه المناطق الرهبانية بين القرن الرابع والثامن المبلادي، وإن عانت كثيرا من غارات البربر مما أدى لاستحداث عنصر الحصن في مباني الأديرة.

[١٣] المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩)، ص. ٥٠٨.

[١٤] تقي الدين المقريزي (٧٦٦-٨٤٥ هـ)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المجلد الرابع الجزء الثاني، قابله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد، ص. ١٠٨٥.

[١٥] من علي باشا مبارك، *الخطط الجديدة التوفيقية*، الطبعة الأولى، المجلد ١٥، ١٣٠٥ هـ، ٥٢-٥٣. "وبعين شمس نبات يزرع كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الأرض الا هناك ويؤكل لحاء هذه القضبان فيكون له طعم وفيه حرارة وحرافة لذيذة وفي بعض العبارات بناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر قصير يسقى من ماء بئر هناك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصدها وتغتسل بمائها وتستشفى به ويخرج لعصر البلسان أوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمل إلى الخزانة السلطانية ثم ينقل منه إلى قلاع الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شيء إلا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم بذلك ولملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهاودونه من صاحب مصر ويرون انه لا يصح عندهم لاحد أن يتنصر الا أن يغمس في ماء المعمودية ويعتقدون انه لا بد أن يكون في ماء المعمودية شيء من دهن البلسان ويسمونه الميرون وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب السنكسار وهو يشتمل على أخبار النصارى ان المسيح لما خرجت به امه ومعهما يوسف النجار من بيت المقدس فرارا من هيرودس ملك اليهود نزلت به أول موضع من أرض مصر مدينة بسطة في رابع عشر بشنس فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة سمنود وعبرا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشمونين وكان باعلاها اذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب صهل فجاؤا ونظروا في أمر القادم فعندما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر فدخلت به امه وظهرت له عليه في الاشمونين آية أخرى وهو ان خمسة جمال محملة زاحمتهم في مرورهم فصرخ فيها المسيح فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين وأقاموا بقرية تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وهي التي يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان من اجواف الاصنام التي بها وقال ان امرأة أتت ومعها ولدها يريدون أن يخربوا معابدكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردوهم عن المدينة فمضوا الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يسمى اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف النجار في منامه قائلا يخبره بموت هيرودس ويأمره أن يرجع بالمسيح الى القدس فغادروا من الميرة حتى نزلوا الموضع الذي يعرف اليوم في مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا في مغارة تعرف اليوم بكنيسة بو سرجه ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اغتسلت وصبت غسالتها بتلك الارض فأنبت الله هناك البلسان وكان اذ ذاك بالاردن فانقطع من هناك وبقي بهذه الارض وبقيت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على ذلك الماء الذي غسلت منه مريم وبلغني انها الى الآن اذا اختبرت يوجد ماؤها عينا جارية في أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر وللبلسان فانه انما سقى منها والله أعلم انتهى.

قال عبد اللطيف البغدادى فى كتاب الافادة والاعتبار البلسان لا يوجد اليوم الا فى مصر بعين شمس فى موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أفدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك وعليها قشران الاعلى أحمر خفيف والاسفل أخضر ثخين واذا مضغ زهر في الفم منه دهنية ورائحة عطرية وورقه يشبه ورق السذاب ويجتنى دهنه عند طلوع الشعرى بان تشدخ السوق بعدما يحت عنها جميع ورقها وشدخها يكون بحجر محدد ويفتقر شدخها الى صناعة بحيث يقطع القشر الاعلى ويشق الاسفل شقالا ينفذ الى الخشب فان نفذ الى الخشب لم يخرج منه شيء فاذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل لثاه على العود فيجمعه باصبعه مسحا الى قرن فاذا امتلأ صبه في قوارير من زجاج ولا يزال كذلك حتى ينتهى جناه وينقطع لثاه وكلما كثر الندى في الجوّ كان لثاه أكثر واغزر وفى الجدب وقلة الندى يكون اللثى

أنزر ومقدار ما خرج منه في سنة ٥٩٦ وهى عام جدب نيف وعشرون رطلا ثم تؤخذ القوارير فتدفن الى القيظ وحمارّة الحر وتخرج من الدفن وتجعل فى الشمس ثم تتفقد كل يوم فيوجد الدهن قد طفا فوق رطوبة مائية وأثقال أرضية فيقطف الدهن ثم يعاد الى الشمس ولا يزال كذلك يشمسها ويقطع دهنها حتى لا يبقى فيها دهن فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قيمه في الخفية لا يطلع على طبخه أحد ثم يرفع الى خزانة الملك ومقدار الدهن الخالص من اللثى بالترويق نحو عشر الجملة وقال بعض أرباب الخبرة ان الذى يحصل من دهنه نحو من عشرين رطلا ورأيت جالينوس يقول ان أجود دهن البلسان ما كان بارض فلسطين وأضعفه ما كان بمصر ونحن لا نجد اليوم منه بفلسطين شيا البتة وقال نيقولاوس في كتاب النبات ومن النبات ما له رائحة طيبة في بعض أجزائه ومنه ما رائحته الطيبة في جميع أجزائه كالبلسان الذي يكون في الشام بقرب بحر الزفت والبئر التى يسقى منها تسمى بئر البلسم وقال ابن سمجون انما يوجد في زماننا هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند ظهور كلب الجبار وهو الشعرى وذلك في شباط. ومقدار ما يخرج خمسين رطلا الى ستين ويباع في مكانه بضغفه فضة وكان هذه الحال قد كانت في زمن ابن سمعون ويحكى عن الزازى ان بدله دهن الفجل وهذا بعيد والبلسان الزهرى لا يثمر وانما يؤخذ منه فسوخ فتغرس في شباط فتعلق وتنمو وانما الثمر للذكر البرى ولا دهن له ويكون بنجد وتهامة وبرارى العرب وسواحل اليمن وبأرض فارس ويسمى البشام ويربى قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم ونقل دساسى عن فرسكال وفيره أن الاسم العربى لشجرة البشام هو أبوشام أو أبو الشم يعنى ذا الرائحة قال واظن ان هذا الاسم محرف عن بشام لانه ورد هكذا عن عبد اللطيف وابن البيطار والجوهرى وغيرهم وأورد عن ابن البيطار نقلا عن أبى العباس النباتى الاندلسى ما ترجمته قد شاهدت شجرة البشام قريبا من قديد وهى كثيرة في جبال مكة وسوقها وأوراقها تشبه سوق وأعناق البلسم وانما ورق البشام مدوّر عن ورق البلسم وشجرة البشام أكبر من شجرة البلسم وزهره رقيق ولونه بين الصفرة والبياض وثمره عناقيد تشبه ثمر المحلب والعرب تأكله ومتى نزع من ورقه ورقة أو كسر من فروعه فرع يخرج من محل الجرح مادة رطبة بيضاء تأخذ فيما بعد لون الحمرة وتكون لزجة لها رائحة طيبة والشجرة جميعها لها ريح طيب وطعم الورق سكرى لزج وثمره معروف عند جميع الصيادلة فى الأندلس وغيرها من الأقطار باسم حب البلسم ويؤتى بهذه الحبوب فتباع فى مكة ومنها ينشر الى باقي البلاد وبعض الناس يزعمون ان البشام لا يثمر ومنهم أبو حنيفة الدينورى والحق غير ذلك ما لم يكن في بلاد فير الذى ذكرناها ومن أنواع البشام نوع يسمى بقا لم أره ولا يميز الفرق بينهما الا كثرة التجارب ونقل دساسى أيضا عن بعض السياحيين ان شجرة البلسم انقطعت من مصر سنة ألف وستمائة وخمسة عشر ميلادية بسبب غرق حصل لها ونقل عن السيوطى عن صاحب كتاب غرائب العجائب ان بئر البلسم توجد فى أرض مصر بقرب المطرية يسقى من مائها شجر البلسان وهو دهن عجيب ينسبون خاصيته الى ماء هذه البئر بسبب ان المسيح غسل فيه ولا ينبت في غير هذا الموضع وقد طلب الملك الكامل من والده العادل أن يزرعه فأذن له ففعل فلم ينجح فطلب الرخصة فى توصيل ماء بئر المطرية اليه فأذن له ففعل فلم ينجح ونقل أيضا عن القزوينى انه بعد ان سقاه الكامل من بئر المطرية نجح وان الارض التى زرع بها مسوّرة ممتدة طولا وعرضا الى مدى البصر قال والظاهر ان هذا هو الاصح (فائدة)".

[١٦] يقال أن حصن بابليون كان حصنا مصريا قديما في الأساس، ثم حلت به حامية فارسية قبل أن يدخل الرومان مصر ويستخدموا الحصن لحامية رومانية. وكان النيل يصل لبوابته الغربية، ثم انتقل مسار النيل للغرب. وكان يعرف أيضا بقصر الشمع، ربما لأن الشموع والمشاعل كانت تنيره أثناء الليل.

[١٧] المقريزي، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (٢٠١٣)، ج. ٤: ٢، ص. ١٠٨٠.

[١٨] تشابه القصص واسم المضيف قلوم في كل من تل بسطة والأشمونين يعتبر غريبا بعض الشيء. فقد ورد اسم الشخص "قلوم" أو "كلوم" الذي يعني اسمه إكليل في ميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا لتل بسطة، وفي ميمر الباب ثاؤوفيلس للأشمونين.

إسحق إبراهيم عجبان، رحلة العائلة المقدسة في أرض مصر: دراسة تاريخية (القاهرة: معهد الدراسات القبطية ببطريركية الأقباط الأورثذكس، بالتعاون مع المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم، ٢٠١٧)، ص. ١٣٢-١٣٣.